القدس الشريف

وماذا عن تل أبيب

إعداد

إبراهيم عناني

عضو إتحاد المؤرخين العرب

مركز اسكندرية للكتاب

٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة

تليفون : ٤٨٤٦٥٠٨

القدس الشريف

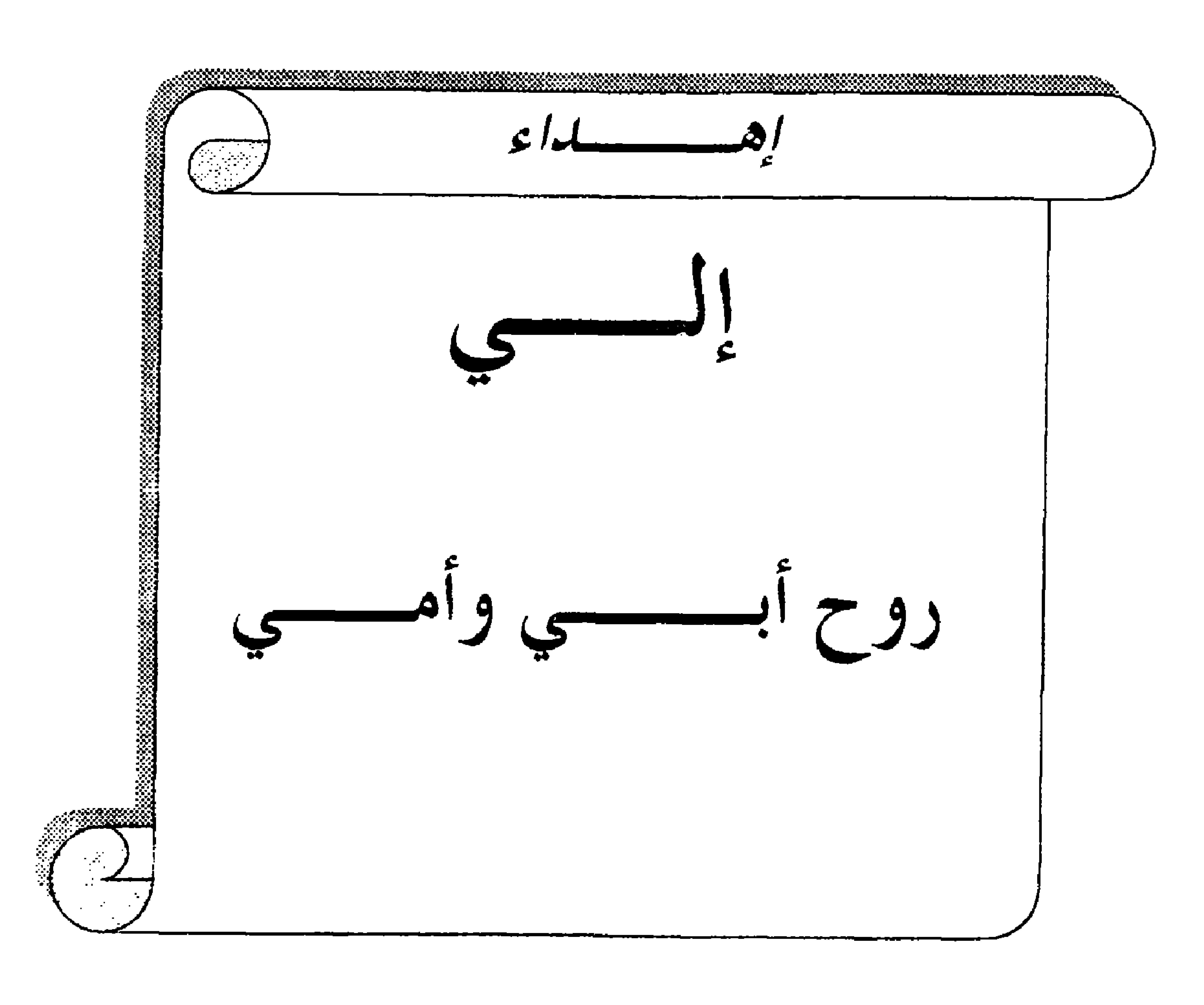
وماذا عن تل أبيب

إعداد
إبراهيم عناني
عضو اتحاد المؤرخين العرب

٢٠٠٢

مركز الإسكندرية للكتاب
٤٦ شارع الدكتور مصطفي مشرفة
تليفون : ٤٨٤٦٥٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

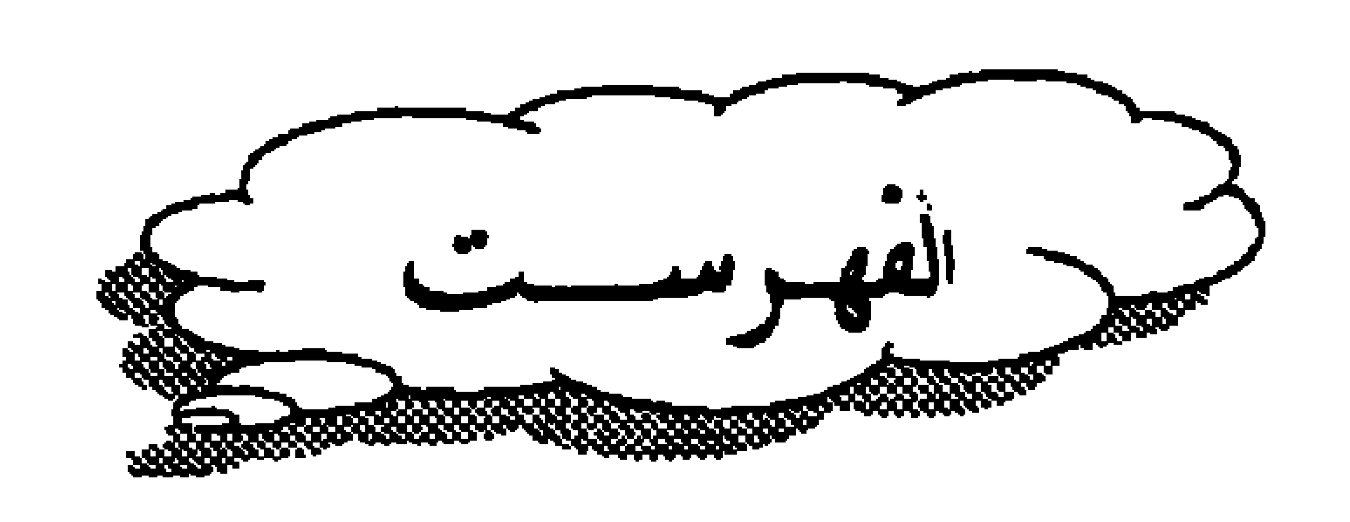


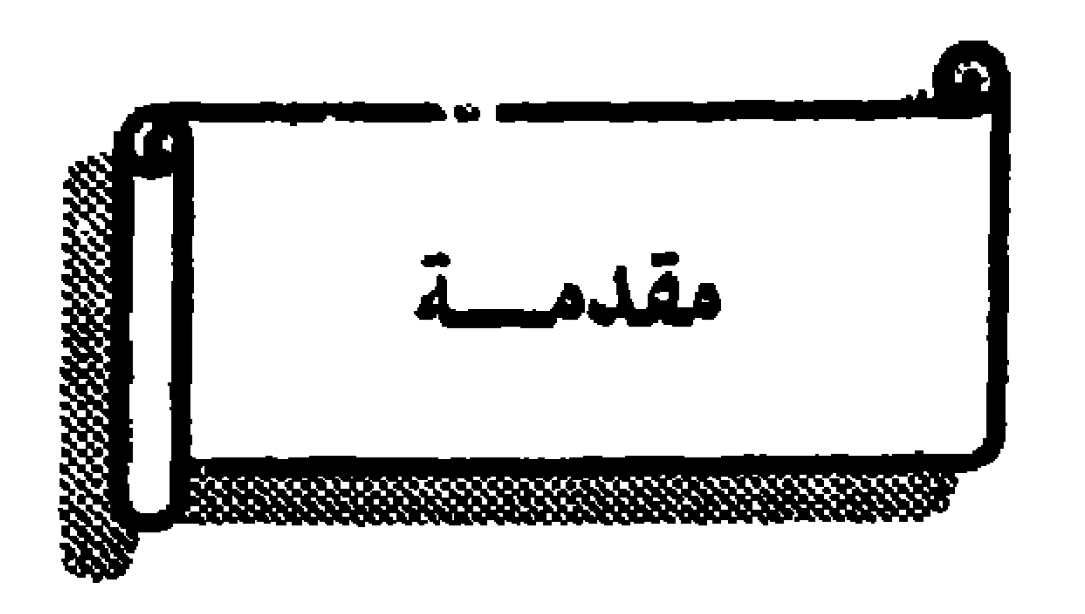


صورة إبراهيم عناني وهو يلقي محاضرة في إحدي الندوات التي نظمتها
جامعة الإسكندرية عن [القدس الشريف] وقد شرف الندوة
الأستاذ الدكتور محمد أباظة - كلية الزراعة جامعة الإسكندرية



إبراهيم عناني يتلقى هدية رمزية من الأستاذ الدكتور محمد الفيومي
عميد كلية التجارة عقب إلقاء محاضرة في إحدي ندوات
جامعة الإسكندرية عن [القدس]


الفهرست



مقدمـــة

القدس عربية ٠٠ الموضوع الرئيس الذي ساد العديد من الندوات خلال شهري يوليو وأغسطس ٢٠٠١ فلقد ألقيت محـــاضرة في مســـاء الاثنين ٢٠٠١/٧/٢ بمكتبة علي الجارم بمدينة رشيد ٠

كما تلقيت دعوة من الأستاذ الدكتور محمد الفيومي عميد كليـــة التجارة " جامعة الإسكندرية " لإلقاء محاضرة بالندوة التي عقدها رابطـــة خريجي كلية التجارة جامعة الإسكندرية مساء الأربعاء٢٠٠١/٧/٢٥

كما ألقيت محاضرة أخري بدعوة من سيادته في الندوة التي عقـدت بالمدينة الجامعية بالإسكندرية ضمن فعاليات معسكر شباب الجامعة مســـاء الاثنين ٢٠٠١/٨/٣ وأكد الحوار والمناقشات رغبة شديدة للتعرف تفصيلا علي القضية الفلسطينية وإدعاءات إسرائيل وانتهاكات الصهيونية لحقـــوق شعب فلسطين واعتداءاتها علي المسجد الأقصي ٠

وهذا الكتاب يفند ــ نافيا ــ مزاعم إسرائيل وأباطيلها في الحـــق التاريخي والديني لمدينة (القدس) ٠٠ وفي نفس الوقت يقدم قراءة لما يجـري في تل أبيب من تناقضات في المجتمع الإسرائيلي ٠

لقد كانت هذه المدينة منتجهة إلي " الله العلي " تحت حكم ملـــك ومرشد ديني في آن واحد من أبناء فلسطين الأصليين هو " ملكي صـادق " وترجمة اسمه للعربية " العادل هو ملكي " الذي دان له أول ملك فلسـطيني في هذه البقعة عرفه التاريخ وذكره رواة التوراه أنفسهم ٠

كما أن سيدنا إبراهيم عندما مر بمدينة شالم عائداً من بعض وقائعه الحربية صلي الجماعة مع "ملكي صادق " لله العلي ٠٠ كل هذا قبل أن يُخلق اليهود بزمن طويل وحقيقة الأمر أن الإسرائيليين عندما تسللوا إلي فلسطين بعد الخروج من مصر بقيادة موسي عليه السلام – والذي توفي علي جبل "نبو" بالقرب من الضفة الشرقية لنهر الأردن يري أرض الميعاد من فوق الجبل بعيدة ولا يستطيع أن يطأها بقدميه – ثم تولي يوشع ابن نون قيادهم من بعده وجدوا اليبرسيين والأدوميين والموآبيين والعمونيين والكنعانيين وغيرهم وهؤلاء جميعهم عرب ٠٠ أي أن العرق السامي عربي في أصوله الجغرافية ثم غدت مسيحية في عهد الرومان البيزنطيين ولكنها ظلت سامية من حيث العرق والسلالة البشرية ثم أصبحت إسلامية من حيث الدين وظلت عربية سامية من حيث التكوين والسلالة ٠٠ وليس عجيبا أن نجد موسي وهارون يقضيان نحبهما دون أن تطأ أقدامهما أرض فلسطين فضلا عن القدس ، ثم يدور الزمن دورته فيسير داود وسليمان نحو المدينة المقدسة بعد أن كفر أصحابها وعبدوا أصناما مثل ٠٠ بعل وعشتروت واشيرا وغيرها ثم يكفر اليهود بدورهم بشريعة موسي وأخلاقياته وينسون جهاد داود وحكمة سليمان وتتوالي الحوادث متلاحقة إلي أن هتز قوانين العدل كلها في العصر الحديث في أغلب جهات العالم وتقوم الدول الكبري فتحل عبادة المال بحيث راحت هذه الدول الكبري تجثوا علي الركبتين أمام أثرياء اليهود من أمثال روتشيلد وهيرش ومونتوفيوري وغيرهم ولمح المغامرون من اليهود هذه الظاهرة منذ أواسط

القرن التاسع عشر فاندفعوا يستغلونها وجمعهم بالأمم الغربية عداء دفين للإسلام منذ جولات الحروب الصليبية ورغبة ملحة في تدمير آخر خلافة إسلامية وهي الخلافة العثمانية وكان لابد من شعار .. وهكذا رفعت اليهودية الانتهازية شعار صهيون قلعة داود القديمة التي لم يعد لها وجود بل لم يعد للجبل نفسه وجود بعد أن ردم الجرف الفاصل بينه وبين غرب هضبة بيت المقدس فسوي بالأرض وعاد " جبل صهيون " اسما علي غير مسمي لكن أقامت الصهيونية مسمي علي غير اسم ولوحت بشعار أورشليم ـ القدس ولم يستطع بنو إسرائيل أن يتخلصوا من التعصب العنصري الذي لم يكتف بالقول بامتياز قومهم علي غيرهم من الأمم بالإيمان بالله وتوحيده بل قلبوا هذا إلي أحقاد يغذونها باستمرار ضد الأمم الأخري مدعين أنهم يتربعون علي القمة في ترتيب شعوب الأرض ومن هنا سموا أنفسهم " شعب الله المختار " وكان ذلك منطلقا لتفرقة عنصرية رهيبة حتي أمام القانون .. ومن هنا كان بقاؤهم السياسي في تلك الأرض مهتزاً دائما وعرضه للتدمير ، شهد بذلك أنبياؤهم وهم يخطبون فيهم داخل فلسطين فنبيهم أشعيا يذكرهم بأن تصدع كيانهم في تلك الأرض وتسلط من لا يرحمهم ولا يخاف الله فيهم .. إنما هو جزاء عادل لما ارتكبوه من موبقات وآثام وكان بهذا يبشر بزوال الكيان الشمالي لبني إسرائيل من فلسطين والذي يسميه المؤرخون " مملكة إسرائيل" أو "مملكة السامرة " كما كرر نفس الخواطر نبيهم إرميا بجانب جدران المعبد في القدس وهو يأمرهم بالاستسلام لنبوخذ نصر " بختنصر " الكلداني لأنه جزاء عادل حل

بهم وأنهم إذا رفضوا عقوبة الله فإنها ستتضاعف وسيكثر فيهم القتل والتشريد والتدمير فعصوا نبيهم وأرسلوا وراءه من يقتله بعد وقوع الكارثة .. إن الوجود السياسي الإسرائيلي القديم قد ذهب مع الريح شمالاً في القرن السابع قبل الميلاد (٧٢٢ ق.م على يد الامبراطور الأشوري سرجون الثاني) وجنوبا بعد ذلك بقرن ونصف من الزمان (٥٨٧ ق.م علي يد الامبراطور الكلداني بختنصر) .

إن الذي يقيم حكماً دينيا بأمر الله تسقط شرعيته في هذا الحكم بمجرد عصيانة لأمر الله واليهود عصوا كل أوامر الله بشهادة كتبهم منذ موسي وإلي السبي البابلي .. ثم حروبهم مع اليونان وأخيراً التشريد الروماني المسمي بالشتات " لقد تشتت اليهود بعد أن ضربهم الرومان هاتين الضربتين الأولي علي يد تيطس " (٧٠م) يوم احتل أورشليم بعد أن ذاقت من جراء حصاره الأمرين .. والثانية علي عهد أدريانوس (١٣٥م) يوم دكها دكاً وقتل منهم خمسمائة وثمانين ألف ومن لم يمت منهم طرد من المدينة وحظر عليه الرجوع إليها والذي استمر ما يقرب من ألفي عام إلي أن سمحت لهم المساومات السياسية البحتة واللاأخلاقية في معظم مظاهرها بتقوية هذه الصهيونية المعاصرة في أعقاب الحرب العالمية الأولي .. وبإقامة دولة إسرائيل المزعومة في أعقاب الحرب العالمية الثانية حيث صب زعماء الصهيونية حركتهم في إطار ديني يتم تحقيقه بالجهود السياسية .

إن تاريخ اليهود يؤكد أنهم الأمة الوحيدة تقريبا التي لم تستقر حضارتها علي قوائم إنسانية ثابتة .. بل كتبت تاريخها حسب هواها ثم

زعمت آن ذلك التاريخ صادر من الله بطريق الوحي ولكنهم نقلوا عن المأثورات الشعبية لأرض الرافدين والكنعانيين وبعض الأمم الأخري التي عرفوها وشريعة حمورابي شاهد علي صدق هذا القول .. وارتكازاً علي ذلك فإن زعم اليهود وتحريفهم للتاريخ بأنه كانت لهم دولة في فلسطين فترة من الزمن – ازدهرت في عهد داود وسليمان – زعم باطل فالصهيونية تقيم وزناً لسبعين عاما هي فترة حكم داود وسليمان عليهما السلام في القدس وهي فترة متأخرة وغير مجمع عليها من كل طوائف اليهود ، واعتبرت القاعدة الحربية والسياسية للمملكة الجديدة التي ليست لها علاقة سياسية بموسي والعلاقة كلها علاقة دينية فقط بتكليف إلهي لتحقيق الإيمان به في وجه وثنيات كثيرة كانت قائمة في المنطقة .. وبالتالي ينتهي الأمر الإلهي بنهاية حياة داود وسليمان بحيث تكون الأمة مسئولة عن عقيدتها أمام الله وليس عن وقائعها الحربية أمام رحبعام بن سليمان أو أمام يربعام بن نباط ولا عن عدوانها المتكرر علي جيرانها الأمنيين .

ويعالج هذا الكتاب عددا من المزاعم التي اختلقها الصهاينة ومن تلك المزاعم الإدعاء بأن تأسيس دولة لهم هو تنفيذ لنصوص وردت في الكتاب المقدس ثم ما يدعونه من محافظتهم علي نقاوتهم الجنسية بعد طردهم من فلسطين علي يد الآشوريين والبابليين والرومان وإدعاءاتهم بأن بقايا هيكل سليمان موجود تحت المسجد الأقصي وأن جزءاً من الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف هو آخر أثر من آثار هيكل سليمان فيطلق عليه أعلامهم " حائط المبكي " .. ولقد حرصت في هذا الكتاب الرد

علي إدعاءاتهم معتمداً علي المصادر العربية والعبرية والتحكيم الدولي والتي تؤكد عدم وجود أي أثر للهيكل وأن الحائط الغربي للحرم القدسي هـــو حائط البراق وليس حائط المبكي وحتي تكتمل الصورة لمجتمـــع إســـرائيل بإدعاءاته وتناقضاته ثم تخصيص الجزء الثاني من الكتاب ما يجري في تل أبيـب ففي إسرائيل يهوديا لكنه ليس صهيونيا فهو لا يعترف بالصهيونية . . وقد يعتبرها حركة وثنية . . وفي بعض الأحيان يهوديا وليس إسرائيليا لأنـه لم يحصل بعد علي الجنسية الإسرائيلية . . وقد يكون إسرائيليا وليس يـهوديا إنما هو مسلم أو مسيحي لأنه حصل ـ فقط ـ علي الجنسية الإسرائيلية

وقد يكون صهيونيا وليس يهوديا فهناك من يشجعون إقامة وطـــن قومي لليهود ويؤمنون بالصهيونية لكنهم ليسوا يهوداً ولم يحصلـــوا علـــي الجنسية الإسرائيلية ويأتون إلي إسرائيل للسياحة .

ويعتقد اليهود أن الله خلق الدنيا في ستة أيام ثم استراح في اليـــوم السابع وهو يوم السبت ، ويعتقدون أن الله أنزل الوصايا العشـــر علـــي موسي يوم السبت . . ولهذا جعلوه يوم راحتهم المقدســـة ممنـــوع فيـــه استخدام الكهرباء أو إشعال النار أو كتابة الرسائل أو الاستماع للراديو أو مشاهدة التليفزيون أو الخروج من البيت أو حمل أشياء في الطريق والميـادين العامة أو تدخين السجائر .

يؤمن اليهودي بأن الله واحد لا شريك له لكنه حينما يصلي يقـــوم ويقعد يصرخ ويبكي يركع ويسجد . . حرام عليه أكل لحـــم الأرانـــب والجمال حلال له اغتصاب غير اليهودية وحرام عليه الـــزواج منـــها ولا

تتطهر المرأة من الحيض إلا بالانغماس في الحمام المقدس ولا تتطـــهر بعــد الولادة إلا بتقديم خروف وحمامة قرباناً للرب ويحق لها طلب الطـــلاق في حالة العجز الجنسي لزوجها .. ومن النصائح التي توجه للرجل نصيحــة تقول : " لا تمش بين خنزيرين أو كلبين أو امرأتين "

" يكتب اليهود رسائل إلي الرب ويضعونها في شقوق حائط المبكــي (المزعوم) الذي يتكون من ثلاثة أقسام قسم للبكاء وآخر للمناســبات وثالث للتأملات .. أما علم إسرائيل هو نفسه شال الصلاة وكفن الميــت وأهم أعيادهم عيد الفصح وعيد الفطير وعيد الأبواق وعيد الغوريم الذي يسميه العرب عيد المسخرة .. ويعتقد اليهودي أن المرأة أول من عصــي الله وعليها أن تكفر عن خطيئتها حتي تقوم الساعة .. أما الأطفال فــأول مناسبة يقيمون فيها الولائم للطفل الذكر هي إجراء الختان لـــه في اليــوم الثامن من الولادة .. فالختان لا يقل أهمية عن التعميد " .. ومن تقــاليد اليهود في الزواج أن تحلق العروس شعرها في ليلة الزفاف ويبكي كل الحاضرين في حفل الزفاف وهم يكسرون الزجاجات والأكواب ويحملون المناديل لتجفيف دموعهم .. إنها تعاليم اليهودية التي تذكر كــل يــهودي في المناســبات السعيدة بأن تدمير هيكل سليمان يستحق منه أن يحزن ويتألم .. أما عـــن الإسرائليات فلم يعد غريبا ــ كما تقول إحدي رســائل الدكتــوراه في إسرائيل – أن تشاهد الفتيات حوامل في صفوف جيش الدفاع الإسرائيلي

ومن الثابت تاريخياً أن القدس كانت تتمتع بمكانة ممتازة بين مــدن العالم لما لها من القدسية والاحترام في نظر أصحاب الديانات السماوية وهي

معروفة منذ أقدم عهود التاريخ ، ولقد شهدت كثيراً من المعارك التاريخية وتوالي عليها الغزاة والفاتحون تارة يحاصرونها ويدكون أسوارها وتارة يفتحونها ويؤمنونها ومن ذلك أن تيتوس الروماني دمر الهيكل عام ٧٠م وقتل عدداً كبيراً من بقايا اليهود ، وهكذا قضي علي الكيان الذاتي لبقايا اليهود في فلسطين وعندما تولي الإمبراطور الروماني إيليوس هدريان عرش الرومان ، صمم القضاء علي بقايا العقيدة اليهودية نهائيا ودمر المدينة وبقايا الهيكل تدميراً كاملاً ، شيد مدينة " إيليا كابيتولينا " علي أنقاضها وأقام معبداً لجوبتر كبير آلهة الرومان ، وأصبح اسم المدينة إيليا حتي الفتح الاسلامي لفلسطين ثم صار اسمها بيت المقدس .

إن تجاوزات إسرائيل واغتصابها لأرض فلسطين العربية أدت إلي حرب عام ١٩٤٨ وما أعقبها من حروب .. وتساند مصر القضية الفلسطينية .. والأمل في تحرير القدس العربية وعودة الأراضي الفلسطينية والحفاظ علي قدسية المسجد الأقصي .

والكتاب يتحدث عن فساد بني إسرائيل والأمل في دخول عباد الله إلي المسجد الأقصي فاتحين مكبرين مهللين شاكرين الله تعالي أن صدق وعده وأعز جنده .

وعلي الله قصد السبيل ،،

إبراهيم إبراهيم عناني

عضو اتحاد المؤرخين العرب

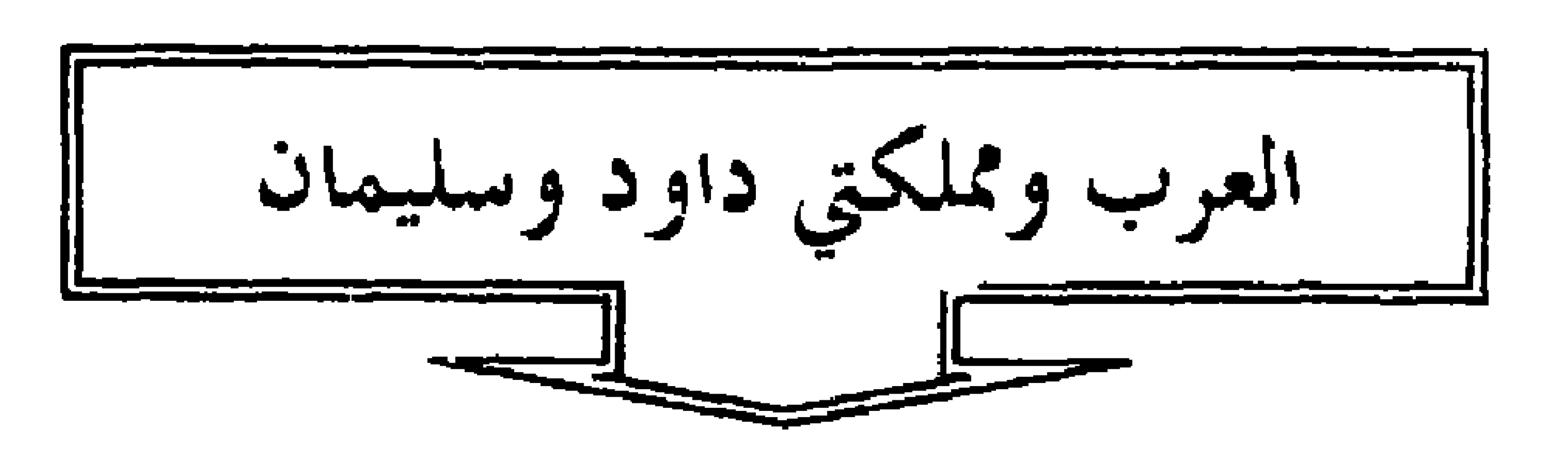
عضو جمعية الآثار

الفصل الأول

** العرب ومملكتي داود وسـليمان

- القــدس عربيــة

- خــروج بني إســرائيل من مصــر



قبل تناول تاريخ القدس نعرض للوجود العربي قبل قيـــام مملكـــتي داود وسليمان عليهما السلام ٠

لقد ورد ذكر العرب في العهد القديم - كتاب اليهود المقـــدس - فالنصوص كثيرة التي تشير إلي الوجود العربي في شمال الجزيرة العربيـــة وفي فلسطين علي وجه الخصوص وأولئك العرب هم الذين فرضوا علي كـــل الجزيرة فأصبح اسمهم علما عليها وعلي لغتها وســـكانها ولقـــد كـــانت اللهجات قديما تنسب إلي إقليمها أو إلي أكبر قبائلها ولم تكن لفظة " عَـرَبْ أو عُرب " تدل علي مدلولها المتعارف الآن بل كانت تطلق علي نوع خاص من القبائل التي تسكن البادية وهي من النوع المتنقل الـــذي لا يســـتقر في مكان واحد بل يتبع مساقط الغيث ففي معاجمنا العربية لفـــظ " تَعَـــرَّب " مستخدمة للتعبير عن الاقامة في البادية ومن هنا كانت لفظة " عرب " تعني الجفاف والصحراء ٠٠ ويبدو واضحا عندما يخاطب النبي حزقيال مملكـــة صور الفينيقية ما نصه " العرب وجميع رؤساء قيدار يتجـــرون معـــك في الضأن والكباش وبالذهب أقاموا أسواقك " (حزقيال ٢٧ : ٢١ - ٢٢) وهذا يدل علي أن العرب كانت لهم تجارة مزدهرة في هذا التاريخ المبكر ٠

كما أن بعض النصوص في اللغتين البابلية الآشورية والعبرية تشـــير إلي استخدام لفظة " عرب " كمدلول جغرافي لإقليم بعينه في منطقة فلســـطين وورد في سفر إشعيا ٢١:١٣ ما نصه " في غابة بإقليم عرب تنـــامون يـــا

قوافل الدادانيين " ولاشك أن استخدام اللغة العبرية للفظة " عـــرب " لا ينصرف إلي سائر بلاد العرب أو كل سكانها ولغاتهم وآدابهـــم لأن هـــذه المعاني لم تكن تدل علي مدلولها المتعارف عليه الآن بل كانت تطلق علـــي نوع خاص من القبائل يسكن البادية وهذا ما اثبته العالم " الفريد ارميا " في كتابه " العهد القديم في ضوء الشرق القديم " بأن لفظـــة " عـــرب " في النصوص العبرية تدل علي بعض أجزاء فلسطين وبخاصة الجزء الجنوبي منـها والمعروف أحيانا باسم " يهوذا " والذي كان آهلا بالعرب [1] .

وكذلك نجد أن صحراء مؤاب تسمي بالعبرية " عربوث مـــؤاب " بمعني بادية الأردن علي أن هناك ظاهرة قوية يدركها الباحث في النقـــوش الآشورية هو أن الفلسطينيين العرب من أقدم السلالات التي سكنت كنعان لا قبل غزو الاسرائيليين فحسب بل إبان وجودهم الطارئ هناك .

القدس العربيـــة :

ورد في التوراة (سفر التكوين ١٤ : ١٨) اسم " ملكي صادق " علي أنه كان كاهنا لله العلي ومن المرجح أنه كان معاصرا لسيدنا إبراهيـــم عليه السلام وكان بعض ملوك البلاد الواقعة علي نهر الفرات قد أغـــاروا علي سهل الأردن واستولوا علي سدوم بعد أن أسروا لوطا وقومه وعنـــد سماع سيدنا إبراهيم لهذا الخبر قام بإعداد رجاله وسلحهم وحارب هـــؤلاء الملوك واسترد أملاك لوط وأعاد الأسري وقام ملك سدوم باستقبال سيدنا إبراهيم عند عودته وقدم ملكي صادق ملك اليبوسيين خبزا وماء وبـــارك

---

[1] د . فؤاد حسنين : فلسطين العربية ص ٦٣

سيدنا إبراهيم قائلا : " مبارك ابرام من الله العلي مالك السموات والأرض ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك"[1]

فأعطاه سيدنا إبراهيم العُشْر مما معه من الغنائم .

ومن ملوكهم " سالم اليبوسي " الذي بني قلعة علي جبل يقع في الزاوية الجنوبية الغربية للدفاع عن القدس والذي عرف أيام داود باسم جبل صهيون [2] وكانت يبوس (القدس) في ذلك الوقت ذات أهمية تجارية لموقعها علي طريقين من أهم طرق التجارة الطريق الأول يربطها بالبحر المتوسط والآخر يربط حبرون (الخليل) ببيت إيل (بيتين) ومن بيت إيل كان الطريق يتفرع إلي اتجاهين : واحد نحو شكيم (نابلس) والآخر إلي أريحا ووادي الأردن أما من الناحية الاستراتيجية فهي تقع علي تلال مرتفعة يحيط بها سور طبيعي منيع وكان بينها وبين البلاد المجاورة معاهدات تحالف قوية

كان العهد القديم المصدر الأساسي لدراسة تاريخ اليهود إلي أن تحققت دراسة تاريخهم بعد الوثائق الأثرية – وثائق البحر الميت والوثائق الآشورية والبابلية – التي تم اكتشافها في الفترة الأخيرة علي ضوء معرفة المستشرقين في العصر الحديث للغات الشرق القديم .

وأقدم النقوش التي ورد فيها ذكر القدس موجودة في مجموعة اللوحات المسمارية المكتوبة باللغة الأكادية – تتخللها تفسيرات قليلة

---

[1] سفر التكوين ٢٠ – ٢١

[2] كلمة كنعانية معناها تل أوقمه

بالكتابة المسمارية الأوجاريتية الكنعانية المبسطة وهذه النقوش عرفت باسم " لوحات تل العمارنة " وهي وثائق دبلوماسية ترجع إلي عهد فرعون مصر أمنوفيس الثالث (١٤١١ – ١٣٧٥ ق٠م٠) وابنه إخناتون (١٣٧٥ – ١٣٥٠ ق٠م٠) وقد ورد اسم القدس في هذه النقوش تحت اسم " أورسالم " وهو اسمها الكنعاني وذلك عندما استنجد حاكمها عبد يخيبا وكان حاكما من قبل فرعون مصر – بأمينوفيس الثالث لصد غارات (الحابيرو)[١]

---

[١] – ذهب بعض الباحثين إلي اسم العبريين قد ورد في لوحات تل العمارنة تحت اسم (حابيرو) ومن المرجح أن هذا الاعتقاد خاطئ فمعني الكلمة مازال يكتنفه بعض الغموض وهو في الغالب كان له مدلول عرقي في تلك الفترة فكلمة عبري كانت تشمل الآراميين وجميعهم عرب نزحوا من موطنهم الأصلي في الجزيرة العربية قبل أن يكون لليهود وجود أي أن مصطلح (عبيرو) كان يطلق علي القبائل البدوية التي هاجرت من الجزيرة العربية قبل موسي عليه السلام فإن كلمة عبري أو عبراني لم ترد في القرآن الكريم وإنما ورد ذكر " بني اسرائيل وقوم موسي واليهود ولذلك لم يعرف اليهود باسم العبريين في زمن سيدنا محمد ﷺ وإنما عرفوا بتسمياتهم التي وردت في القرآن الكريم والجدير بالذكر أن العهد القديم لم يذكر قط أخبار عاد وثمود التي انفرد بذكرها القرآن الكريم ٠ ويتضح مما تقدم أن تسمية ابرام (سيدنا ابراهيم) بالعبراني كما جاء في التوراة (سفر التكوين ١٤ : ١٣) كان يقصد بها انتساب سيدنا ابراهيم إلي القبائل العربية البائدة ولذلك لم يقصد بابرام العبراني معني الاسرائيلي وإنما العابر أو المهاجر وعندما وجد اليهود و انتسبوا لاسرائيل كانوا يتحدثون عن العبرية علي انها لغة كنعان ولم يطلقوا عليها العبرية إلا في وقت متأخر ويري البعض الأخر من الباحثين أن كلمة حابيرو يقصد بها كلمة العبريين فهي مشتقة من الفعل (عبر) الذي كان شائعا في اللغة السامية ومنها العربية والعبرية واستعمل في العبرية بمعني (عبر النهر) والمقصود هنا نهر الفرات وعلي ذلك فيحتمله أن كلمة عبري كانت تعني الذي يعبر الفرات إلي آرام (سورية) وجاء في التوراة (سفر التكوين ٣١ : ٢١) ما نصه فهرب هو (يعقوب) وكل ما كان له وقام وعبر النهر وجعل سمته نحو جبل جلعاد والمقصود هنا عبور يعقوب نهر الفرات وكان الساميون قديما إذا اقاموا عبر النهر دون أن يشيروا إلي اسم النهر فهم بذلك يقصدون نهر الفرات ولذلك يقول بعض العلماء ان اسم العبريين قد اطلق علي اليهود اعتبارا من رحلة يعقوب وعبوره الفرات الي آرام (سورية) ولذلك فهم ينتسبون إلي من عبر بهم النهر (يعقوب) وهو رأي مبالغ فيه لأنه ليس

خروج بني إسرائيل من مصر :

ويبدو أنه في عصر الملك رعمسيس الثاني (١٢٥٠ ق٠م٠) خرج بنو اسرائيل [١] بقيادة موسي وعبروا صحراء سيناء وكان هدفهم فلســـطين التي أطلقوا عليها أرض الميعاد حسب ما جاء في التوراه ٠

وفي خلال رحلة الخروج ظهر الرب لموسي باسم " يهوه " وجـــددّ العهد بينه وبينهم – هذا حسب دعواهم – وأوحي الرب لموسي بالشـريعة وأسس العقيدة حول إله واحد أحد إلا أن اليهود اعتبروه إلههم القومـــي الخاص بهم وأنهم " شعبه المختار " [٢] ٠

وتحدثنا التوراة علي أن موسي قد توفي وأرض الميعاد علي مرمـــي بصره فتولي يوشع بن نون قيادة بني اسرائيل وعبروا نهر الأردن واحتلـــوا

العبور الوحيد في تاريخهم فهناك عبور موسي البحر ببني اسرائيل من وجه فرعون وهو عبور تـــاريخي اكثر من عبور يعقوب وهكذا فسر اللغويون اليهود لفظة عبري تفسيرا عنصريا لا يقوم علي أساس متين ٠ (راجع : د٠ سيد فرج راشد . القدس عربية إسلامية . ٢٠٠٠)

راجع : عباس العقاد : إبراهيم ابو الانبياء – صفحات ١١٩ ، ١٣٢ – ١٣٣

د٠ حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ٥٤

د٠ حسن ظاظا : الشخصية الاسرائيلية – صفحات ١٩ – ٢١ ٠

د٠ أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ – صفحات ٢٤٥ – ٢٥٣

G.R. Driver : Hebrew Language Ency Britannica ١٩٦١ , vol. ١١.

G.R. Driver : Semetic Writing, pp. ٧٨-٧٩ .

[١] –يبدو أن كلمة بني اسرائيل أصبحت أسما لليهود منذ أيام يعقوب علي أسا س أنه كان كنية له معناها "قوة الله "

[٢] – ومن اللافت للنظر أن اليهود يقرأون التوراة بروح متعصبة ونزعة عنصرية قومية ليســتخرجوا مـــن نصوصها ما يبرر إدعاءاتهم بأنهم شعب الله المختار ٠

أريحا بعد تدميرها وسفكوا دماء أهلها [1] وكذلك فعلوا مع مدن عاي والجلجال وشيلوح وبقية المدن الكنعانية التي احتلوها أثناء تقدمهم إلي يبوس (القدس) •

وخلال غزو بني اسرائيل لفلسطين بقيادة يوشع اتحد ملك اليبوسيين "أدوني صادق" مع أربعة من الملوك المجاورين (ملك حبرون – ملك يِرْمُوت – ملك لخيش – ملك عِجْلَون) وتصدوا ليوشع بن نون إلا أنهم وقعوا في الأسر فأعدمهم وبرغم ذلك لم يتمكن بنو اسرائيل من احتلال يبوس (القدس) نفسها إذ كانت محصنة تحصينا منيعا حيث قاومهم اليبوسيون الذين اتحدوا مع ملك حاصور ضد يوشع إلا أنهم انهزموا أيضا وتشتت شملهم (سفريوشع ٩:١١-١) ومع ذلك لم يتم الاستيلاء علي المدينة إلا بعد وفاة يوشع حيث حاصروها وقاموا بتدميرها [2] ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء علي قلعة اليبوسيين (حصن صهيون فيما بعد) وبقيت في أيديهم مدة عهد القضاة وفترة حكم الملك شاءول أول ملوك بني اسرائيل •

وكان يوشع قد شرع قبل وفاته في تقسيم فلسطين إلي أنصبة قبلية بين أسباط بني اسرائيل الاثني عشر [3] محددا مكان كل سبط وأصبحت

---

[1] – سفريوشع ٦ : ٢١-٢٥ " وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب"

[2] – " وحارب بنو يهوذا اورشليم (القدس) واخذوها وضربوها بحد السيف واشعلوا المدينة بالنار " (قضاة ٨:١) •

[3] – وهذه الأسباط هي : رأوبين ، شمعون ، جاد ، يهوذا ، يساكر ، زبولون ، افرايم ، منسا ، بنيامين ، دان . آشر ، نفتالي ، يضاف إلي هذه الأسباط الاثني عشر سبط لاوي وهم عشيرة موسي وهارون

مدينة القدس في قطاع سبطي يهوذا وبنيامين وبرغم ذلك التقسيم إلا أن القدس ظلت مدينة يبوسية حتى عصر "داود" وقد وردت هكذا صراحة في الفقرة ٦٣ من الاصحاح ١٥ من سفر يوشع وهي ما نصه " وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم (القدس) فلم يقدر بنو يهوذا علي طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم (القدس) إلي هذا اليوم " .

واستمرت القدس علي تسميتها القديمة (يبوس) أي مدينة اليبوسيين كما جاء في سفر القضاة الاصحاح ١٩ : ١١-١٢ ما نصه " وفيما هم عند يبوس وقد أشرف النهار علي نهايته قال الغلام لسيده : تعال نميل إلي مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها فقال له سيده : لا نميل إلي مدينة غريبة حيث لا أحد من بني اسرائيل هنا " .. أي أن المدينة المقدسة ظلت إلي عهد داود مدينة لليبوسيين سكانها الأصليين أكثر من ألفي عام قبل عهد موسي كما بقيت بأيدي أهلها ثلاثمائة عام أثناء الوجود اليهودي في فلسطين ثم بعد دخولهم إليها في عهد داود ومما يؤيد ذلك أنه عندما أراد داود بناء هيكل للرب في القدس قام بشراء البيدر الذي كان ملكاً لرجل يبوسي يدعي آرونا (صمويل الثاني ٢٤ : ٢٤-٢٥) ولذلك عاش اليهود أقلية بين اليبوسيين حتى تم السبي البابلي (٥٨٧ ق.م.) .. وعندما قام بنو إسرائيل بغزو فلسطين بقيادة يوشع بن نون وجدوا اليبوسيين

وكانت لهم الزعامة الدينية والاجتماعية علي سائر الاسباط وكانت عشيرة السلاويين تقوم بالكهانة في مناطق الاسباط .

والأدوميين الموآبيين والعمونيين والكنعانيين وغيرهم وهؤلاء جميعهم (سفر التكوين ١٥ : ١٩) عرب.إذن لم يكن اليهود هم الشاغلون الأوائل لفلسطين بل كانوا ولفترة محدودة بين كثيرين غيرهم من الشعوب العربية .. إلا أن الصهيونية السياسية تخضع أحداث الماضي للتلاعب والتحريف حيث اعتبروا غزو فلسطين في عهد يوشع حربا مقدسة وتتذرع بالوعد الالهي الوارد في سفر التكوين ١٥ :١٨ ما نصه : " في ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهيم ميثاقا قائلا : لنسلك أعط هذه الأرض من نهر مصر إلي النهر الكبير نهر الفرات " .. ولا يوجد خارج التوراه أي اشارة أو وثيقة تعود إلي القصة القديمة عن إسرائيل [١]

مملكة داود :

بعد وفاة يوشع بن نون سادت الفوضي بين بني اسرائيل وارتد كثير منهم إلي الوثنية ولذلك أخذوا كثيرا من عادات الكنعانيين وطقوسهم الدينية ، وكان النظام الاجتماعي الاسرائيلي القديم يقوم علي القبيلة وكانت القبائل بدورها تنقسم إلي عشائر معظمها متجمعة حول هيكل

---

[١] - أثبت البحث العلمي أن الجزء الأول من العهد القديم وهو المعروف بالتوراة - توراة موسي - لم يكن علي هذه الحال التي نراها عليه الآن إذ يذهب الباحثون إلي أن الشطر الأكبر منه قد تم تدوينه فيما بين عزرا (٤٢١ ق٠م٠) والفتح الروماني (٦٣ ق٠م٠) ويعتمد العلماء علي أدلة كثيرة منها نصوص من التوراة نفسها " فمات هناك موسي .. ولم يعرف انسان قبره إلي هذا اليوم " (تثنية ٢٤ : ٥-٦) ولا يمكن أن يصدر هذا القول عن موسي عليه السلام وهذا يقطع بأنه في التوراة بوضعها المعروف لنا حاليا ما لا يمكن نسبته إلي موسي ٠

مركزي في " سيلون " [1] كما أن تقسيم فلسطين إلي أنصبة قبلية جعل مدينة القدس في قطاع سبطي بنيامين ويهوذا (يوشع ١٥ : ٨-٦٣) وبرغم ذلك التقسيم ظلت القدس مدينة يبوسية حتى عصر داود (قضاة ١٩ : ١٠) وقبله لم تكن هناك حكومة ثيوقراطية - دينية -بل كان هناك زعماء محليون يتصدرون للقيادة وهؤلاء هم القضاة الذين سميت باسمهم حقبة من تاريخ بني اسرائيل الديني تشمل القرنين اللاحقين لغزو فلسطين علي وجه التقريب .

ولم يتسع الوقت للغزاة لتوطيد انتصارهم الأول في فلسطين فقد شن الفلسطينيون هجوما مضادا بدأ من المنطقة الساحلية وانتهي إلي داخل فلسطين وحاربوا بكل قوة حتى انهزم الاسرائيليون حيث أخذ الفلسطينيون تابوت العهد وهدموا هيكل سيلون وفي هذه الفترة أيضا كان المديانيون والمؤابيون والعمونيون والأراميون يواصلون إغاراتهم علي الاسرائيليين وساعدهم علي ذلك الفرقة التي كانت تمزق القبائل الاسرائيلية من الداخل وفي ختام الألف الثاني قبل الميلاد وصل بنو اسرائيل إلي حالة من الفوضي والتمزق تكاد تكون تامة ولكن أنقذهم من ذلك رد فعل جاء في صورة دعوة لوحدة وطنية قام بها صمويل التشبي [2] واستطاع أن يجمع

---

[1] - سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ص ١٤٠ من الترجمة العربية للدكتور السيد يعقوب بكر .

وسيلون هي الآن خربة سيلون كانت في منطقة سبط إفرايم ولم تكن لها أهمية كبيرة قبل أن ينقل تابوت العهد إلي هيكلها وقد ظل التابوت بها حتى وقع في أيدي الفلسطينيين الذين ربما هدموا المدينة والهيكل معا (حوالي عام ١٠٠٠ ق.م.)

[2] - هو النبي صمويل من سبط بنيامين وكان آخر القضاة .

مجلسا من ممثلي أسباط الشمال والجنوب جميعا ورشح لهم شاءول ملكـــا علي كل بني اسرائيل فبايعوه وكان شاءول ينتمي إلي بنيامين أصغر ســبط وأقربه إلي وسط البلاد ونصب صمويل وبقية بني اسرائيل شاءول (١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق٠م٠) ملكا عليهم في الجلجال [١] (صمويل ١ ١٥:٤١١-١١) ٠

وقد أقيمت هذه الوحدة السياسية في وقت كان الموقـــف التـــاريخي مواتيا علي نحو فريد فكانت مصر تجتاز فترة تأخر واضمحلال أما آشـــور فكانت مشغولة بتأمين حدودها وتوطيد دولتها في العراق القديم ٠٠وكـــان نظام الحكم في عهد شاءول قائما علي اساس غير ثابت إذ أن عجزه عـــن السيطرة علي الفئات المتعارضة داخل فلسطين منعه من توطيـــد ســيطرته عليها كما كان نزاعه مع داود روج ابنته ميخال من الأسباب التي عجلت بسقوطه [٢] وكان شاءول قد بدأ سلسلة من الحروب ضـــد أعدائـــه وفي مقدمتهم شعب فلسطين ولكنه انهزم أمام الفلسطينيين في معركـــة فاصلـــة علي جبل (جلبوع) وانتهت بمقتله منتحرا مـــع ابنائـــه الثلاثـــة (١١ صمويل ٣١ : ٦).ومن هذا السرد التاريخي لسفر صمويل الأول يتبين أن الفلسطينيين كانوا قوة عسكرية لا يستهان بها في هذا الوقت [٣]

وبعد مقتل شاءول حاول داود أن يسيطر علي الموقف لصالح بـــني اسرائيل ولكن أسباط الشمال رفضوا مبايعته وأقاموا إشبوشت (إشـــبعل)

---

١ - تقع الجلجال في سهل أريحا إلي الشمال الشرقي للقدس

A. Lods : Israel From Its Beginning, PP. ٣٥٢-٣٥٨

٢ - يوحنان أهاروني : ارتس يسرائيل بتقوفت همقرا (أرض اسرائيل في عصر المقرا) ١٩٦٢ م

٣ - E. Heaton : The Philistines And Old Tesrament, PP. ١٧٠ - ١٧١ (١٩٧١)

ابن شاءول ملكا عليهم في مدينة محانيم (صمويـــل الثـــاني ٢ : ٨-١٠) بينما بايعت الأسباط الجنوبية داود ملكا عليها في حبرون (الخليل) حكــم فيها سبع سنوات ونصف (صمويل الثاني ٢ :١١) اســـتمرت أثناءهـــا الحرب دائرة بين الجنوب والشمال وانتهت بموت اشبوشت .

وفي أعقاب ذلك اجتمع ممثلوا بني اسرائيل من الشيوخ وقواد الجيش وعقدوا مجلسا من حبرون حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م. وبايعوا داود ملكـــا علي كل بني اسرائيل [١] (صمويل الثاني ٥ :٣)

ولقد أنكر الكاتب اليهودي أهاروني مساعدة الفلسطينيين لداود علي الرغم من اشارة العهد القديم لهذه المساعدة والتي ورد فيها أن داود قد لجأ إليهم لمساعدته في نضاله ضد شاءول وقد استمرت هذه المســـاعدة بعـــد موت شاءول نفسه.وجاء عن ذلك في سفر صمويل الأول ما نصه " وقـــال داود في قلبه إني سأهلك يوما بيد شاءول فلا شئ خير لي من أن أفلـــت إلي أرض الفلسطينيين فييأس شاءول مني " (صمويل الأول ٢٧ : ١) " وكان عدد الأيام التي سكن فيها داود في بلاد الفلسطينيين سنة وأربعة أشـــهر " (صمويل الأول ٢٧ : ٧) .

وقاوم الفلسطينيون وحدة بني اسرائيل بقيادة داود الـــذي شـــعر بخطرهم ولذلك خطط للقضاء عليهم وهزمهم في معركتـــين فـــاصلتين في وادي الرفائين (صمويل الثاني ١٧:٥-٢٥ ، ٨ :١٠) جنـــوب القـــدس

---

١ - Lods : Israel PP. ٣٥٩ - ٣٦٠

M.L. Margolis : A History of the jewish people pp. ٤٥-٤٧ (١٩٦٩)

حيث طاردهم حتى المنطقة الساحلية وبذلك انحسر خطر الفلسطينيين عن بني اسرائيل فترة من الزمن وفي أعقاب ذلك فكر داود في تغيير عاصمته حبرون في الجنوب واتجه نظره إلى مدينة القدس (يبوس) في الشمال وكانت في أيدي اليبوسيين العرب فخطط للزحف نحوها بجيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل إلا أنه واجه مقاومة عنيفة من اليبوسين ولكنه كرر هجومه وانتزع منهم جبل صهيون وبنى عليه قلعة حصينة اتخذها قاعدة لانطلاقه حيث مارس ضغوطا علي سكان المدينة حتى استولي عليها واتخذها عاصمة لملكه وكان اختياره للقدس يعد دليلا واضحا علي حنكته السياسية فهي مدينة محايدة تتمتع بمزايا كثيرة فهي ذات موقع استراتيجي وسط فلسطين علي تل يرتفع حتى ٢٦٠٠ قدما فوق سطح البحر وتحيط بها وديان عميقة ومن ثم تصلح لأن تكون عاصمة حصينة ورغم كل هذه الأحداث فلم يحدث اندماج حقيقي بين أسباط الشمال والجنوب وبقي هذا الانفصال قائما في ضمائرهم ونلاحظ آن مقدرة داود نفسها لم تكن لتحفظ السلام داخل مملكته بل إنه في وقت من الأوقات حين تزعم ابنه ابشالوم الثورة ضده اضطر إلي الفرار إلي ما وراء نهر الأردن لينجو بنفسه [1] (صمويل الثاني ١٥ ، ١٩) .. وكان داود قد أقام في البداية في حصن صهيون قبل استيلائه علي المدينة وكانت عليه قلعة أمامية لليبوسيين

---

١ - A Sachar : History of the jews, p. ٣٥ (١٩٧٣)

A.T. Olmestead : History of Palestine and Syris, PP. ٣١٦ - ٣١٧ (١٩٢٣)

Lods : Israel . P.٣٦٠

يدافعون منها عن القدس وكانوا يسمون جبل صهيون بكل منشآته " المدينة الفوقانية " أما " المدينة التحتانية " فقد أطلقوا هذا الاسم علي هضبة الحرم (جبل الموريا) وقد بدأ داود بزيادة تحصينات قلعة اليبوسيين في "المدينة الفوقانية " وجعلها قاعدة لحكمه ولذلك سميت " مدينة داود " ثم صار الاسم يطلق علي المدينة كلها [١] وقد ظل اليبوسيون مقيمون بالقدس وأقام الملك قصرا عليها بمساعدة المهندسين والعمال الفينيقيين [٢] ثم نقل تابوت العهد إلي القدس حيث تركزت السلطة الدينية والسياسية والعسكرية جميعا واستمر داود في الضغط علي اليبوسيين ومضايقتهم في جبلهم (الموريا) وخطط لبناء هيكل للرب فبدأ بشراء بيدر آرونا اليبوسي الذي كان يتخذه جرنا ومربضا لماشيته فوافق علي بيعه لداود بما فيه من المواشي بخمسين شاقلا من الفضة .. والجدير بالذكر أن " القدس " (يبوس) قبل إقامة داود بها كانت مدينة ذات حضارة حيث اشتملت علي منازل كبيرة بها الكثير من أسباب الراحة وكان فيها حكومة وصناعة وتجارة بالإضافة إلي أنها كانت آهلة بسكانها اليبوسيين وهم إحدي القبائل العربية السامية ومعرفة الله فيها وبالوثائق ترجع علي الأقل إلي ملكي صادق الذي كان كاهنا لله العلي قبل موسي بحوالي خمسمائة عام ولذلك أخذ الاسرائيليون عن حضارة اليبوسيين ومن المدن الكنعانية الأخرى التي

---

١ – ظاظا : اسرائيل ركيزة للاستعمار – ص ٨٨ (راجع : د. سيد فرج راشد ، القدس عربية إسلامية ٢٠٠٠)

٢ – Lods : Op. Cit, p. ٣٦١.

احتلوها بالغزو فغادروا الخيام وسكنوا في منـــازل كمنـــازل اليبوســـيين والكنعانيين وسكنوا الطابق الأرضي علي خلاف مـــا اتبعـــه اليبوســـيون والكنعانيون من قبل في استخدامهم للطابق الأرضي كمخازن ، كحجرات لإقامة الخدم وخلعوا عنهم الجلود ولبسوا ثيابا منســـوجة مـــن الكتـــان والصوف كثياب الكنعانيين .

ولما كانت عشيرة داود هي سبط يهوذا فقـــد بـــدأ الاســـرائيليون يسمون باليهود أيضا منذ هذا الوقت ويعتقد كثير من المؤرخـــين أن أهـــم العوامل التي ساعدت داود علي توطيد مملكته أن ألأحوال في مصر كـــانت مضطربة فضعفت سيطرتها علي فلسطين وبلاد الشـــام بالاضافـــة إلي أن الدولة الأشورية كانت في حالة من الضعف جعلت لداود حرية الحركـــة والنشاط .

مملكة سليمان :

بعد موت داود خلفه ابنه سليمان (٩٧٣ ق.م. تقريبا) وكـــان علي عكس والده يميل إلي حل مشاكله السياسية والاقتصاديـــة حلـــولا دبلوماسية ولقد أدرك سليمان مبكرا أن مملكته الصغـــيرة لـــن تـــدوم إلا بتدعيم علاقاته مع الدول الكبرى التي تحيط به فقام بتوثيق علاقاتـــه مـــع جيرانه التي كان داود قد بدأها مع ملوك صور وتزوج سليمان ابنة فرعون مصر – أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين – الذي أهدي له مدينة جزر وكان فرعون مصر قد استولي عليها مؤخرا من الكنعانيين (ســـفر الملـــوك الأول ٩ :١٦) .

وامتاز عهد سليمان بتقدم تجاري كبير كفله الموقع المتميز لفلسطين علي طرق التجارة بين مصر وسوريا وسيطرته عليها فدخل مع ملك صور شريكا في الأسطول التجاري وأدي ذلك إلي مساعدة حيرام ملك صور لسليمان في بناء الهيكل (معبد) عن طريق إمداده بالذهب وخشب الأرز وبقية المواد اللازمة لعملية البناء بالاضافة إلي إمداده بالكثير من العمال المهرة .

بدأ سليمان ببناء سور يحيط بجبل الموريا ثم أخذ في بناء الهيكل الذي كان داود قد بدأه قبل وفاته ومن المؤكد أن المهندس المعماري الفينيقي الذي صمم هيكل سليمان قد استوحاه من الفن المعماري السامي فالتصميم العام لمعبد سليمان يكاد يماثل تصميم المعبد الكنعاني مع اختلافات غير جوهرية أهمها أن قدس الأقداس كان في نهاية المعبد.فإن المعبد الكنعاني الذي تم اكتشافه في بيسان والذي يعود تاريخه إلي عام ١٣٠٠ ق.م كان نقطة تحول في تصميم المعبد الكنعاني فهو يتكون من غرفة خاصة مربعة الشكل تقع في نهاية الغرفة الرئيسية للمعبد ويتم الوصول إلي الغرفة العليا بواسطة بعض الدرجات حيث تمثال للإله وتمثل الغرفة العليا قدس الأقداس الذي يعتبر صفة مميزة لمعبد سليمان فيما بعد وكانت هذه الصفة المميزة موجودة أيضا في معابد مصر والعراق كما كان هناك مذبح صغير أمام التمثال المرتفع حيث تقدم البخور في الغرفة العلوية وربما كانت توقد أيضا بعض الشموع وفي الفناء الخارجي للمعبد يوجد المذبح الرئيسي حيث تحرق القرابين إذ كان المعبد في عهدي داود

وسليمان قد اقتصر علي أن يكون بيت الله يأتيه بنـــو اســرائيل لاقامــة شعائرهم حيثما كان [1] فإنه مع قيام المملكة قد أصبح يغطي مســـئوليتين كبيرتين الأولى منها أن يصبح المعبد المركزي ومكان الحج المحدد الـــذي لا يتجه الناس إلي سواه ثم إنه في نفس الوقت صار رمزا علي فخامـــة ملـــك سليمان وعظمة الجالس علي عرش بني اسرائيل [2].

وإذا كان الباحثون قد قللوا من الأهمية المعمارية لهذا البناء الجديــــد معتمدين علي المأثور الذي جاءهم به الكتب اليهودية فإن الذي لا شك فيه هو أن عمل سليمان لم يكن بناء معبد فحسب بل كان مشروعا هندســـيا معماريا ضخما لبناء عاصمة جديدة كاملة ولم يكن داود قد أتم منـــها إلا القلعة التي شيدها علي جبل صهيون وداره التي بناها بالقرب من القلعـــة أما سليمان فإنه تصور خريطة لعاصمة كاملة بأسوارها ومعبدها المركـــزي وقصرها الملكي ومبانيها الدينية والإدارية ومساكن زوجاته وما ملكت يمينه ممن دان بالشريعة الموسوية ومن لم يدخلها وجعل في عاصمته حيـــا دينيـــا وآخر ملكيا وثكنات للحرس وحيا لغير التابعين للشريعة الموســـوية مـــن نسائه وحشمه واقام الأسوار الفاصلة بين هذه الأحياء والتحصينات المحيطة

---

[1] - فقبل ظهور الملكية سياسيا كان اليهود يعبدون الله في أي مكان وقد عبـدوه مـع موسي وهارون أربعين عاما في سيناء ونيس في بقعة معينة فأينما وصلـــوا كـانت " خيمة الاجتماع " التي بها تابوت العهد وفيها يقيمون الصلاة وبعـد موســي وهـارون وعلي مدى ثلاثمائة عام - عصري يوشع والقضاة - كانت أماكن العبادة متفرقة حتـى أنها كانت في بعض الأحيان حول المدن الفلسطينية القديمة.

[2] سيد راشد فرج ، مرجع سابق ، ص ٦٧

بها والسلالم المؤدية إليها من الأراضي المنخفضة المحيطة بها كما أعد خزانات المياه والأحواض والبرك التي يجد فيها المتعبدون والحجاج ما يحتاجون إليه من الماء وهو في المدينة المقدسة ما يزال حتى يومنا هذا يشكل معضلة تفاجئ الناس بأزمة من حين إلي حين.

فالأمر ليس مشروعا صغيرا نفذه سليمان كما اتفق وإنما هو شيء يسهل معه تصور ما جاء في القرآن الكريم حول ضخامة الجهد الذي بذله سليمان بن داود لجعل عاصمة ملكه لا تقل دينيا ولا سياسيا ولا إداريا ولا عسكريا عن أية عاصمة في المنطقة أما الفناء الخارجي لمعبد سليمان فكان يحتوي علي حوض ضخم جدا مصبوب من البرنز وقائم علي تماثيل لإثني عشر ثورا تمثل الأسباط الاثني عشر وكان هذا الحوض يسمي " بحر النحاس " ولعله المقصود بقوله تعالى " جفان كالجواب " كما جاء في قوله تعالى ﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور﴾

(سورة سبأ آية ١١ ، ١٢).

ورأينا نموذجا من الجفان والتماثيل أما المحاريب فلنا أن نتصور أن هذا المعبد المنقسم إلي ساحة خارجية ثم فناء مكشوف ثم صالة مسقوفة ثم صالة داخلية فيها قدس الأقداس كل هذا كان يتضمن عددا كبيرا من المحاريب حتى يستطيع العامة في الساحة وفي الفناء المكشوف أن يشاركوا

في الشعائر مع الخاصة في البهو المسقوف وخاصة الخاصة من بينهم الملك وكبار الكهنة في قدس الأقداس.

وفيما يلي نص ما جاء في سفر الملوك الأول الإصحاح الخامس فقرة ١٣-١٦ " وسخر الملك سليمان حشودا كبيرة من بني اسرائيل تقدر بحوالي ثلاثين ألف رجل فأرسلهم إلي لبنان عشرة آلاف في الشهر من النوبة يكونون شهرا في لبنان وشهرين في بيوتهم وكان أدونيرام علي التسخير وكان لسليمان سبعون ألفا يحملون أحمالا وثمانون ألفا يقطعون في الجبل وأمر الملك أن يقلعوا حجارة كبيرة حجارة كريمة لتأثيث البيت حجارة مربعة " ويتضح من نص سفر الملوك أن عدد الصناع الذين اجتمعوا في القدس ضخم جدا ويزيد علي مائة وخمسين ألف عامل [1].

وهكذا يبدو أنه لا تعارض بين ما جاء في القرآن الكريم من أبهة ملك سليمان وما ورد في العهد القديم (سفر الملوك الأول) ولذلك نشعر أن مُلك سليمان كان ابعد ما يكون عما أراد الباحثون [2] أن يصفوه به من الصغر والفقر والتقشف وإلا لما واجه هذا التمرد الذي تواتر في المأثور أن سببه الظاهر كان الاسراف وكذلك تواتر في هذه المأثورات اليهودية أنه

---

[1] سيد فرج راشد ، مرجع سابق ، ص ٦٨

[2] - ومن اللافت للنظر أن الأساطير التي نسجت عن فخامة هذا الهيكل وضخامته لا [illegible] أن تكون قد نجت من شطحات الخيال ولذلك وصلت إلينا مبالغا فيها اشد المبالغة وليس أدل علي ذلك من أقوال الكاتب اليهودي الأمريكي لويس براون في كتابه بعنوان "حياة اليهود " ما نصه " إن انجازات سليمان في القدس وفي مقدمتها قصره الملكي كانت تبدو في عين اليهود السذج من رعيته فخمة فخامة تفوق التصور مع أنها لو قورنت بالقصور الهائلة في مصر وبابل أو الهند لبدت ضئيلة سمجة الذوق " راجع د. حسن ظاظا : اسرائيل ركيزة للاستعمار - ص ٩٢ .

بعد الفراغ من البناء واستقبال ملكة سبأ أن بني اسرائيل قد تمردوا علي سليمان لكثرة نفقات المملكة وإمعانه في توفير وسائل البذخ مما أرهقهم بالضرائب لدرجة أنه لكي يقر عدالة التوزيع بينهم جعل الإنفاق علي المملكة علي كل سبط من الإثني عشر شهرا من السنة وهي أشياء مستبعدة تماما عن نبي وهي تتعارض تماما مع التصور للنبوة ٠

ولعله من المفيد أنْ نُذَكِّر بني إسرائيل بأن الحرم الاسلامي الشريف أقيم في نفس المنطقة التي كان " ملكي صادق " يدعو فيها باسم الله العلي في زمن سيدنا ابراهيم ومن المرجح أن السور الذي كان يحيط بمنطقة الهيكل علي عهد سليمان كان مربعا طول ضلعه مائة وثمانون مترا وأن مقاييس الحرم الاسلامي الشريف في نفس المنطقة هي " الضلع الشرقي لسور الحرم طوله ٣٨٤ مترا " والضلع الجنوبي ٢٢٥ مترا ثم يمتد الضلع الغربي في خط مستقيم بزاوية منفرجة٠٠ وقد يكون من أبرز المعالم التي تميز الحرم الاسلامي الشريف أنه مستطيل ويأخذ الاتجاه من الشمال إلي الجنوب في اتجاه قبلة مكة المكرمة علي خلاف هيكل سليمان فبرغم استطالته فهو يأخذ الاتجاه من الغرب إلي الشرق ٠[1]

وهذا ينفي نفيا قاطعا الرأي القائل بأن هيكل سليمان يقوم مكان الحرم الاسلامي الشريف ٠

---

[1] - ظاظا : اسرائيل ركيزة للاستعمار - صفحات ١١٦ - ١١٧

الفصل الثاني

** تاريـــــخ المدينـــــــة

- القدس اليبوسية حتي الفتح الإسلامي
- لقدس في عهد الإســــلام
- القدس وبنو أميـــــة
- القدس وبنو العبــــاس
- القدس الفاطميـــة
- القدس والأتراك الســـلجوقيين
- القدس وحمـــلات الصـــليبيين
- القدس من العصر الأيوبي حتي العصر العثماني

تاريخ المدينة [*]

القدس اليبوسية : من سنة ٣٠٠٠ ق ٠ م ٠

اليبوسيون بناة القدس الأولون ، وكانت على عهدهم تدعى (يبوس) إنها بطن من بطون العرب الأوائل ، نشأوا فى جنوب الجزيرة العربية،ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية فإستوطنوا هذه الديار.

ومن ملوكهم (ملكى صادق) وهو أول من اختطها وبناها ، ولقد عرف بالتقوى وكان محبا للسلام حتى أطلق عليه : (ملك السلام) ومن هنا جاء اسم المدينة (سالم) و (شالم) ومن ملوكهم (سالم اليبوس) فقد زاد هذا فى بنيانها ، وشيد على الأكمة الجنوبية المعروفة اليوم بجبل صهيون [1] برجا بقصد الدفاع عن المدينة ، وأصبحت هذه المدينة تعرف باسمها الكنعانى (أورو– سالم) أى مدينة السلام ، وكان الكنعانوين فى بادئ الأمر رعاه ، ولما استقروا فى هذه البقعة من الأرض سميت باسمهم (كنعان) فقد كانوا يومئذ متحدين وصدوا العبرانيين وقاوموهم زمنا طويلا ، وكانت (يبوس) ذا أهمية تجارية بحكم موقعها ٠٠ أما من الناحية الحربية فهى واقعة على تلال مرتفعة ومحاطة بسور منيع وكان لملكها جيش ، وكان بينها وبين الملوك المجاورين حلف متين ٠

---

[*] فاروق محمد عز الدين ، القدس تاريخيا وجغرافيا ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨١ ، صفحات متفرقة ٠

[1] صهيون كلمة كنعانية بمعني تل أوقمه

ولما تفرقت كلمة اليبوسيين ، استغل العبرانيون الفرصة ، فراحـــوا يغزونهم وكادوا يقتحمون مدينتهم ، ولم يكن فيها سوى حامية صغـــيرة . عندئذ استمد حاكمها (عبد حيبا) العون من فرعون مصـــــر (تحوتمـــس الاول) سنة ١٥٥٠ ق.م ليحميه من العبرانيين ذلك لأن هؤلاء كانوا كلما احتلوا مدينة اعملوا السيف والنار فيها وفى سكانها ..ويعتقد المؤرخـــون أن معظم سكان القرى فى القدس يرجعون إلى أصل كنعـــانى وأن لغتـــهم الأصلية كانت كنعانية ، وإنضمت إليها — عند الفتح البـــابلى — اللغـــة البابلية .. وظلت هذه اللغة هى الرسمية حتى الفتح الفارسى . وكـــانوا يعبدون الأصنام . وصنمهم الأكبر يدعى بعل) ومعناه الرب .

القدس فى زمن الفراعنة : سنة ١٤٧٠ ق.م

فى عهد (تحوتمس الثالث) سنة ١٤٧٩ ق.م خضعت (يبـــوس) لفراعنة مصر فأقام عليها حاكما ، ومن الفراعنة الذين كانت لهم جـــولات (أمنحوتب الثالث) سنة ١٤١٤ ق .م و (اخناتون) ســـنة ١٣٧٥ ق.م وكانت القدس على عهده من ممتلكات مصر المهمة . (وتوت عنخ آمون) سنة ١٣١٥ق.م و (سيتى الاول) سنة ١٣١٤ ق.م (ورمسيس الثانى) سنة ١٢٩٢ ق.م و (شيشان) ســـنة ٩٧٠ ق.م و (نيخـــو) ســـنة ٦١٠ق.م ويطلق عليها المصريون تارة اسمها اليبوس (يابيش) وتارة اسمـــها الكنعانى (أورو — سالم) ، وكان احتلالها لحماية طريق التجارة ولم يمصروها بل اكتفوا بالجزية ، ولم يكترثوا لعادات القوم وديانتهم .

القدس وبنو اسرائيل : سنة ١٠٤٩ ق ٠ م

خرج بنو اسرائيل من مصر فى عهد (رمسيس الثاني) سنة ١٢٥٠ ق٠م (فى أغلب الأقوال) فإجتازوا بقيادة زعيمهم (موسى) صحراء سيناء ٠ وقد تاهوا فيها أربعين عاماً ، حاولوا فى بادئ الأمر دخول البلاد التى أسموها (أرض الميعاد) من ناحيتها الجنوبية فوجدوا فيها قوما جبارين ، ولما بدلوا طريقهم ، ووصلوا إلى جبال موآب شرقى الأردن توفى (موسى) عليه السلام ، فتولى قيادهم (يشوع بن نون) فعبر بهم إلى الاردن سنة ١١٨٩ ق٠م واحتل أريحا ، ولكنه لم يستطع احتلال (يبوس) إذ كانت محصنة وقاومه اليبوسيون وحاول بنو اسرائيل بعد موت (يشوع) احتلال (يبوس) بقيادة (يهوذا) فاحتلوها وأشعلوا النار فيها وقتلوا عشرة آلاف رجل ، ألا أنهم أخلوها تحت ضغط اليبوسيين ٠ وظل هؤلاء يهزأون بحملات العبرانيين عدة قرون ، ولما أصبح (داود) ملكا على بنى اسرائيل سنة ١٠٤٩ ق٠م وكان يومئذ يقيم فى (حبرون) زحف نحو (يبوس) بجيش قوامه ثلاثون الف مقاتل يقوده ابن اخته (يوآب) وقاومه اليبوسيون وصدوه عنها الا انه أعاد الكرة وتمكن من احتلال (تل أوفل) فى جنوبها أصبحت (عين روجل) وكانت هى النبع الوحيد الذى يستقى اليبوسيون منه الماء ٠ عندئذ سقطت (يبوس) بطبيعة الحال سنة ١٠٤٩ق٠م وكانت (يبوس) قبل احتلاله لها ذات حضارة ومنازل متقنه حوت الكثير من أسباب الراحة والرفاهية ، وكان فيها حكومة وصناعة وتجارة وديانة ، فاقتبس العبرانيون هذه الحضارة من (يبوس) ومن المدن

الكنعانية الأخرى التى احتلوها نغادروا الخيام وسكنوا فى بيـــوت بنوهـــا كبيوت الكنعانيين ، وخلعوا عنهم الجلود التى كانوا يلبسونها ، ولبســـوا بدلا منها ثيابا منسوجة بالصوف كثياب الكنعانين واتخذهـــا (داود) أى (يبوس) عاصمة ملكة فأسماها (مدينة داود) وقد أحصي سكانها فثار عليه قومه بتحريض من ولده (أبشالوم) فهرب منها ثم رجع إليها بعد مـــوت ولده ٠٠ ومن الأسباب التى دعت قومه للثورة أنه أحصـــاهم فإعتـــبروه مسببا للطاعون الذى أصابهم فقالوا له : الله الذى خلقنا يعرفنا ، فلمـــاذا أحصيتنا ٠٠ ففكر في بناء هيكل ليكفر عن ذنبه فابتاع من (أرنان اليبوسى) أرضه الواقعة على تل " موريا " ، ابتاعها بخمسين شاقلا من الفضة ، ولكنه مات قبل أن تتحقق أمنيته سنة ١٠١٥ ق م ، وبعده أصبح إبنه (سليمان) ملكا فبنى الدور والقصور وأتم عمل ابئه فبنى اخيكل ســنة ١٠٠٧ ق٠م ، واتسع ملكه من الفرات حتى تخوم مصر ، ورأى أن يكون على وفاق مـــع فرعون مصر ، ليأمن شره فصاهره وتزوج ابنته ، وزعم الصهاينة أن النـــبي سليمان شيد هيكل (معبد) تحت المسجد الأقصى ٠٠ وبعده تولى الملـــك (رحبعام) (ابن سليمان من امرأته العمورية) واقتتل مع اخيه (يربعام) (ابن سليمان من امرأته المصرية) فانقســـمت المملكـــة شـــطرين (يـــهوذا) وعاصمتها (اورشليم) و (اسرائيل) وعاصمتها (شـــكيم) وراح كـــل منهما يفرض الضرائب على شعبة ليتغلب على خصمه ومنع (يربعــــام) قومه من زيارة (أورشليم) ٠

القدس وآشور : سنة ٧٣٠ ق ٠م

غزا الاشوريون (أورشليم) بقيادة ملكهم (شـلمنصر) سـنة ٧٣٠ ق م فسبي سكانها وظل يجارهم ولم تدخل (أورشـليم) فى حكـم الاشوريين إلا على عهد (سنحريب) فحاصرهـا سـنة ٧١٣ق٠م ودك أسوارها فحفر بنو اسرائيل نفقا طوله ١٧٠٠ قدما بين (عـين أم درج) فى سلوان وداخل المدينة وأسال ملكهم الماء من (بركة مـاملا) الى بركـة سميت بإسمه فيما بعد والتى تسمى اليوم (بركة حمام البطـرك) فى حـارة النصارى ، ولم يتمكن (أشعيا النبى) من إنقاذ (أورشليم) من الاشـوريين الذين جاءوا بجيش يبغون احتلالها ، لولا الطاعون الذى ألم بهم ، فرجعوا ثم عادوا بعد حين فاحتلوها واعتقلوا ملكها وارسـلوه الى بـابل مصفـداً بالأغلال سنة ٦٧٨ ق.م ٠٠ ولكنهم عادوا فأطلقوا سراحه ورجـع إلى (أورشليم) فبنى سورها الثانى سنة ٦٤٤ ق.م ولكـن بعـد قليـل دب الضعف فى صفوف الآشوريين وتخلوا عنها للبابليين ٠

القدس وبابل : سنة ٥٩٩ ق ٠م

أهم ما فى تاريخهم حصار (نبو خذ نصر) ملكهم لأورشليم سـنة ٥٨٧ ق٠م حيث دمر المدينة إلى أن هرب اليهود وكان حاكمهم علـى رأس الهاربين فلحق بهم الكلدانيين وأتوا بهم الى ملكهم (نبو خذ نصـر) فارسل هذا ملكهم الى بابل ، بعدئذ نهب (نبو خذ نصر) أورشـليم ودك أسوارها ، ودمر الهيكل الذى بناه سليمانً ، وسبى شعبها الى بابل ، وهكذا أندثرت مملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق٠م وكان البابليون يسـمونها (أورو —

سالم) فأصبحت مستعمرة بابلية تدفع الضرائب وتتكـــاتب مـــع بـــابل وانتشرت اللغة البابلية وظلت لغة البلاد حتى الفتح الفارسى ٠

القدس فى عهد الفرس : سنة ٥٣٨ ق٠م

تغلب (كورش) ملك الفرس على البـــابليين ســـنة ٥٣٩ ق٠م فاحتل سوريا ثم (أورو ٠ سالم) وطلبت منه امرأته اليهودية والتي تدعـــي (استير) إعادة اليهود المنفيين فى بابل فأعادهم ســـنة ٥٣٨ ق ٠م وبقـــى بعضهم ببابل ، وبعده جاء (أرتحشستا) سنة ٥٢٢ ق٠م ، وظلت (أورو – سالم) تابعة لملوك الفرس وتدفع لهم الضرائب ٠

القدس فى عهد اليونان : سنة ٣٢٢ ق٠م

بعد احتلال الفاتح المقـــدونى (ليروشـــاليم) ســـنة ٣٣٢ ق٠م انسحبت حامية الفرس فدخلها دون مقاومة وإن كان قد جاء فى البدايـــة بقوة من أربعين ألفا ، وكان ينوى تدميرها ، إلا أن اليهود تضرعوا له وأراده الكاهن الأكبر (صفر دانيال) أن أحد ملوك اليونان سيتغلب على الفـــوس ويقوض عرش الاكاسرة ، فسكت ولم يبطش بهم بل أقر عاداهم وأعفـــاهم من الجزية ،وكانت القدس على عهده تدعـــى (يروشـــاليم) ثم (هـــيرو سليما) ولما مات الاسكندر سنة ٣٢٣ ق٠م وأخذ (هيرو سليما) مـــن نصيب البطالسة ، وبعدها تولي (ديمتريوس) ومنافسه (الإســـكندر بـــن أنطيوخس أبيفاس) اللذين قام الصراع بينهما ٠

حاصر (بومبى) هيروسليما قبل فتحها بثلاثة شهور ، بـــالمنجنيق وتمكن من احتلالها واستباح حمى الهيكل ـ وقتل الكثير ، وكـــانت عنـــد الفتح تسمى (هيرو سليما) فسماها (هيرو ساليما) فارسل اليهم (بومبى) حاكما رحبوا به اذ انقذهم من الفوضى ، ولكن سرعان ما انقلبوا عليـــه فهدم السور ، وفرض عليهم كل يوم ذبيحة امام الهيكل تكريما لقيصر روما ٠

وعلى عهد (يوليوس قيصر) سنة ٤٩ أحســـن لليـــهود فأقـــام (هركانوس الخشمونى) حاكما عليها ٠ ثم تـــولى (هـــيرودوس) ســـنة ٣٧ق٠م فحاول أن يوفق بين اليهود والرومان ففشل فشايع الرومان ضـــد اليهود ، وثبت أقدامهم فى البلاد، رغم أنه رمم الهيكل فقد كرهه اليهود ، ولكن بعد ذلك بدأ محاولا تخفيف وطأة المجاعة التى حلت فى عهده ، فـوزع الحبوب على السكان والأموال على المشروعات العمرانية ، فأجرى الماء فى القناة الكائنة بين (برك سليمان) و(هيروساليما) ســـنة ٣٠ ق٠م وبـــنى القلعة الكائنة باب الخليل وكان له قصر كبير وشيد الحصـــــن المعـــروف بـــ(أنطونيا) ، كما شيد عدداً آخر من الحصـــون والأبـــراج والهيـــاكل والتماثيل ، وفى آخر سنين حكمه ولد (المسيح) عليه السلام فى بيت لحـــم ، وكان قد أمر بقتل كل طفل يولد فى بيت لحم ، فهربت به السيدة مـــريم إلى مصر ، وبعد ذلك بسنة مات (هيرودوس) ، بعد حكم اربعين عامـــا ، ثم تولى ابنه (أرشيلادس) سنة ٤ ق٠م فعجز عن إدارة البلاد فاســـتنجد بحاكم سوريا (فاروس) و(باحارث) ملك العرب فأنجده كل منهم بعشرين

ألف فارس فأخمدت الثورة التى قام بها اليهود وذاقوا الذل مـــرة أخـــرى فطلبوا بأنفسهم جعل بلادهم إقليما رومانيا ، ولكن العلاقات بقيت متوترة بين الرومان واليهود فإستقبلوا الوالى الرومانى (بيلاتوس) بوجوم ووقعــت فى (هيرو ساليما) حوادث كثيرة ، منها رفض الكهنة لدعوة (بيلاتــوس) الذى وصف اليهود بقوله : (انهم يضحون بكل غال ورخيص فى ســـبيل مصلحتهم) ٠ ٠ وكانت (هيروساليما) يومئذ ذات شوارع ضيقة وطـــرق مرصوفة رصفا سيئا ، وموارد المياه والمجارى فيها سيئة وانتشار الأمراض ، وكان الهيكل الذى عمره (هيرودوس) قائما ، ولقد أنشـــأ (بيلاتـــوس) طريقين إحداهما يربط (هيروساليما) بالشمال والساحل والثانية تربطـــهما بأريحا وغور الأردن ، وبنى قناة الماء الممتدة من بركة سليمان الى المدينـــة وأجرى فيها الماء ، وكان خمسون ألفا يقاسون من رفض اليهود دفع شـــئ من خزائن الهيكل لبناء القناة ٠ ولكن (هيرودوس) أخمد ثورتهم ونهـــب خزائنهم وعمر القناة رغم أنوفهم ٠

وفى عهد الوالى الرومانى (مرشلوش) سنة ٣٧ ق م و (هـــيرودس أغريبا) من سنة ٣٧ الى سنة ٤٤ م حفيد (هيرودس الكبير) أنشأ حـــى (بيزيتا) المكون من الأحياء المعروفة (بباب حطة والسعدية وباب العمـود) وشرع فى بناء السور الثالث ٠

وفى عهد (طيباريوس) سنة ٤٦ ق٠م وخلفه (فنتديوس) ســـنة ٤٨ م اشتعلت فى (هيروساليما) فتنة بسبب كلمة احتقار مـــن جنـــود الرومان لليهود فثاروا ونصحهم بالسكينة ، فلم ينصاعوا فأمر الجند بـــأن

يكونوا علي أهبة الاستعداد ، فظن اليهود أن الجند سـيهاجموهم فـهربوا وداس بعضهم البعض فى الشوارع الضيقة فمات منهم كثيرون ٠٠ ثم جاء (فيلكس) و (فستوس) سنة ٦٠ م اللذان سيطرا على اليهود بإعتقـال رئيس الكهنة وخازن الهيكل وعدداً من الكهنة أنفسهم ، وطوال حكـم (فستوس) لم يقم اليهود بأى نوع من أنواع الشغب ، ولكن حكمه لم يـدم طويلا فمات سنة ٦١ م ٠ واضطهد (أدريانوس) المسيحيين سنة ١٣٥م كما ردم كنيستهم وبنى فوقها هيكلين ، وبنى سوقا فى المكـان المعـروف بباب العمود ، وأقام أروقة وأعمدة كثيرة ، قيل أنها كانت تمتد الى جبـل صهيون ،ومن هنا جاء الاسم المعروف بباب العمـود ٠ وكـانت اللغـة المستعملة فى (ايليا) فى عهد الرومان الآرامية والعبرية واليونانية واللاتينيـة ، أما العبرية فكانت لغة اليهود . واللاتينية لغة الحكومة الرسميـة وفـرض الرومان الجزية وترك الرومان الكثير من آثار العمران كالمعابد والحصـون والطرق والصهاريج والمجارى والسدود والأشجار والجسور غير أن معظـم هذه الآثار تهدمت بسبب الحروب والثورات ، وقضى على البقية الباقيـة منها عندما إحتل الفرس"إيليا"سنة ٦١٤م وكان ذلك قبيل الفتح الإسلامى

القدس البيزنطية : سنه ٣٣٠ م

تولى " قسطنطين " عرش الأباطرة سنة ٣١٣م فأنقذ النصارى بـل تنصر هو نفسه وتغلب على خصمه فأصبح القائد غير المنازع للمملكـة الرومانية فى الشرق والغرب وأقام على أنقاض بيزانس(استانبول) مدينـة جديدة أسماها القسطنطينية سنه ٣٣٠ م وأصبحت " إيليا " مدينة بيزنطيـة

تابعة للقسطنطينية وفى سنه ٤٢٦م زارت أمه الملكة " هيلانة " "إيليـــا "
وبنت فيها كنيسة القيامة سنة ٣٣٥م وخربت هيلانة البناء الذى كان على
الصخرة عنادا فى اليهود وفرض " قسطنطين " على اليهود أن يتنصـــروا ،
فتنصر فريق منهم ومن لم يتنصر قُتل أو غادر البلاد ولما اعتلى "جوليـــان "
الجاحد العرش سنه ٣٦٠م سمح لليهود بالعودة فأخذوا يفدون إلى المدينـة
، وأمر " جوليان " باعادة بناء الهيكل ولكن ما كادوا يحفرون الأساس حتى
اندلعت النيران تحت الأرض وسمع إنفجار شديد فهرب العمال فذهـــب
الناس مذاهب شتى فمنهم من اعتبرها دليلا على غضب السماء ومنهم مـن
قال بأن المسيحيين أعدوا النار ليحولوا دون الهيكل ومنهم مـــن فســرها
باحتراق الغاز الدفين وبعد موت " ثيودوسيوس " اقتسم ولــداه المملكـة
شرقية وغربية وكانت " إيليا " نصيب الثانية وفى ســـنه ٥١٣م تــولى "
آنسطاسيوس " ثم " يوستينوس " سنه ٥٢٧م وعلى عهده ثار اليهود فأطفأ
ثورتهم وشتت شملهم وأنشأ عدداً من الكنائس والأديار فى "إيليا" وما حولها
فى الجبال والوديان وبنى فى موضع المسجد الأقصى الحالى كنيسة بإســم
العذراء وقرر المجلس الكنسى الخامس سنه ٥٥٣ فى عهده جعل " إيليـا "
مقرا للبطريركية وتولى العرش بعد ذلك أباطرة كثيرون .

وفى عهد " هرقل " من سنة ٦١٠ إلى سنة ٦١٤ م دب الضعـف
فى مملكته فوجه كسرى " ملك الفرس " جيشه وإحتل " إيليـــا" سـنه
٦١٤م وذبح تسعين ألف مسيحى وهدم كنيسة القيامة ومعظم الكنـائس
والأديار ويعتقد المؤرخون أن الفرس قاموا بهذه الأعمال بتحريـــض مـــن

اليهود الذين قتلوا من المسيحيين آكثر مما قتل من الفـــرس ٠٠ ولكـــن "هرقل " عاد فجمع قواه ، وانتصر على الفرس سنه ٦٢٧ م ثم إصطلـــح الفريقان فأعيد الأسري والغنائم ودخل " هرقل " " إيليا " فى ١٤ ســبتمبر سنه ٦٢٩ م حاملا على كتفيه خشبة الصليب التى إستردها من الفـــرس وإنتقم من اليهود فراح يقتلهم بالمئات ولكن الضعف دب فى مملكته بدرجة لم يستطع معها مقاومة المسلمين الذين جاءوا بعد قليل فأخذوا البلاد منه .

القدس فى عهد الإسلام

القدس وعمر بن الخطاب : سنة ١٥هـــ - سنة ٦٣٦م أن تفكير المسلمين فى الإستيلاء على بيت القدس وراءه دوافع دينية واقتصادية وربما حربيـــة وإستراتيجية فهى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يحـــث قومه على غزو الروم فقال لهم : " أيها الناس إنى أريد الروم " ولكن وافتــه المنية قبل أن يدرك غايته فأكملها خليفته " أبو بكـــر الصديـــق " وعمـــل بالوصية فبعد أن غلب المسلمون الروم فى اليرموك وفتحوا الشام واتجـــهوا شطر فلسطين بقيادة " أبو عبيدة بن الجراح " نحو القدس و " عمـــر بـــن العاص " إلى المدن الفلسطينية الأخرى وبعد وفاة " أبو بكر " تولى " عمـــر بن الخطاب " أمر المسلمين فأوعز إلى " أبي عبيدة " بالزحف فلـــبى " ابـــو عبيدة " فاستقدم سبعة من مقاديم الجيش فعقد لكل منهم راية ضمت خمسة آلاف مقاتل أى ٣٥ آلف ما عرف فى التاريخ أصبر منهم علـــى الجـــوع والعطش والمشى كان مبدأهم فى الحروب " لن يؤخر الله نفســـا إذا جـــاء أجلها " ولا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " وجاء من وراء الجيش قائده

" أبو عبيدة " وفى الأردن بعث الى أهل " إيليا " الرسل مزودين بالإنذار التالى : " بسم الله الرحمن الرحيم – من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطاركة أهل إيلياء وسكانها سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول وبعد : فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله – محمد رسول الله – وأن الساعة آتية لا ريب فيها – وأن الله يبعث من في القبور – فإن شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا إخوانا وأن أبيتم فأقروا لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم ساغرون وإن أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حبا للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير – ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله أبدا حتى أقتل مقاتليكم وأسبى ذراريكم "

ومضت أيام الإنذار الأربعة دون رد ثم كلم " يزيد بن أبي سليمان " المحاصرين فخيرهم فاختاروا القتال وكتب " يزيد " إلى " أبي عبيدة " فأمرهم بالتقدم ونشبت معارك طاحنة دامت عشرة أيام ، وفى اليوم الحادى عشر أشرفت راية " أبو عبيدة " ومعه " عبد الرحمن بن أبي بكر " فاستقبله المسلمون بالتهليل والتكبير فدب الرعب فى قلوب الروم ودام الحصار أربعة أشهر لم يمض يوم منها دون قتال، إلى أن قنط السكان من الضنك والجوع فرأوا التسليم بشرط ألا يسلموا المدينة إلا إلى شخص الخليفة فأرسل له " أبو عبيدة " بذلك وبعد مشاورة وصل الخليفة " عمر بن الخطاب " الى المخيم الذى كان يرابط فيه المسلمون على مقربة من السور وفى قول آخر على جبل الزيتون فإستقبله المسلمون بالتهليل والتكبير شارعين سيوفهم ورماحهم فأخبره " أبو عبيدة " الخليفة بما وقع منذ أن

أفترقا ثم أمر الخليفة بإخبار البطريرك بقدومه وجـــاء البطريـــرك حـــاملا الصليب المقدس على صدره ومعه الأساقفة والقسيسين والشمامسة والرهبان فأمنهم الخليفة على كنائسهم وألا يسكن معهم أحد من اليهود "بإيليـــاء " وعلى أهل " إيلياء " دفع الجزية ولكن بعد إعطائهم العهد أخـــذ عليـــهم عهدا بألا يحدثوا فى المدينة وما حولها ديرا ولا كنيسة ولا صومعة لراهـــب الى غير ذلك من الشروط التى كتبها عليهم . وبعدها وفى ســـنة ٦٣٦ م أى بعد العهد مباشرة تقدم أمير المؤمنين فاستقبله " صفرونيوس " ودخـــل من ورائة المسلمين مكبرين مهللين بحوالى أربعة آلاف متقلدين سيفهم وراية الاسلام ترفرف فوق رأسهم وأول عمل قام به " عمر بن الخطـــاب " أن زار الكنيسة فحان وقت الصلاة فأشار عليه " صفرونيوس " بالصلاة فيها فأبى وصلى على مقربة منها أى خارجها ثم زار "عمر بن الخطاب " المنطقة التي بها الصخرة وأخذ يرفع التراب وحذا حذوه الصحابة ونظفوا المكـــان وبرزت الصخرة وأمر "عمر" ان يبنى هناك مسجدا وكان من الخشـــب فى سنة ٦٣٧م وبعد أن فرض " عمر " للمسلمين الفروض وأعطى العطايـا ثم وضع التاريخ الهجرى ودون الدواوين وقسم البلاد الى مناطق وعين لكـــل منطقة أميرا ثم رتب البريد ليؤمن الاتصال وأقام العيون (الإســـتخبارات) وعين قاضيا (مفتشا) يطوف على المأمورين وأسس الحسبة أى (البلدية) للاشراف على الموازين والمكاييل ومراقبتها ولمنع الغش وتنظيـــف الأزقـــه ..الخ وبعد أن رتب "عمر" الأمور ووضع كل شئ فى نصابه اعـــتزم على الرجوع فجمع جنده فأثنى على عملهم وشكر الله إذ صدق وعـــده

ونصر جنده و آورثهم البلاد ومكن هم فى الأرض ثم نصحهم بالابتعاد عن المعاصي والتوبة وتقوى الله وأقام على بيت المقدس " يزيد إبن أبي سفيان " على أن يأتمر بأوامر " أبي عبيدة "

القدس وبنو أمية سنه ٢١هـ - سنة ٦٤١م

وفى سنه ٢١هـ ضمت القدس الى الشام على عهد " معاوية بن أبي سفيان " وكان للقدس يومئذ سور وكان على ذلك السور ٨٤ برجد ، وله ستة أبواب وكان فيها مسجد مربع الأضلاع بنى من حجارة وأعمدة ضخمة نقلت من الأطلال المجاورة وهو يتسع لثلاثة آلاف من المصلين والمعتقد أن هذا هو المسجد الذى بناه " عمر بن الخطاب " وكان جبل الزيتون مغطى بأشجار العنب والزيتون وكان السكان يومئذ يأتون بالأخشاب التى يحتاجون إليها من أجل البناء والوقود وكانت تنقل على الجمال من غابة كثيفة واقعة على بعد ثلاثة أميال من " الخليل " إلى الشمال .

وفى عهد " عبد الملك بز مروان " سنة ٦٥هـ - سنة ٦٨٤م بنى مسجدي الصخرة والأقصى وهما من أعظم آثار بنى أمية فى فلسطين بل ألهما من مفاخر العرب فى الشرق كله ، ومن آثاره أنه عبد فى هده البلاد طرقا عديدة منها طريق القدس - الشام وطريق القدس - الرملة وفى عهد ابنه الوليد سنة ٧٠٥م تم بناء المسجد الأقصى حتى لقد قيل أنه هو الذى بناه وبلغ بنو أمية على عهده أقصى درجات العز وشمل ملكه بلاد الروم والترك والهند وفتح " موسى بن نصير " باسمه الأندلس وبعد أن ثار " أبو

العباس " الهاشمى فى زمن " مروان بن محمد " آخر الخلفاء الأمويين بايعـــه أهل العراق وخراسان فاشتد ساعده وحارب بجيشه "مروان" الذى هـــرب الى مصر فلحقه وقتله وبهذا قضى على الدولة الأموية قضـــاء تامـــا ســـنة ١٣٢هـــ - سنه ٧٥٠م .

القدس وبنو العباس سنة ٧٥٠ م

فى عهد الخليفة " المنصور "حدث زلزال بالمسجد الأقصـــى فـــأمر الخليفة بنزع صفائح الذهب والفضة التى على الأبواب فضربـــت دنانـــير وأنفقت على تعمير المسجد وذلك فى سنة ٧٧١ م وبعد ثلاث سنين حدث زلزال آخر سنة ٧٧٤ م بالمسجد ولكن الضرر هذه المرة كان بالغـــا وفى عهد " محمد المهدى بن المنصور " عندما زار " القدس " سنة ٧٨٠ م أمـــر بتعمير ما خربه الزلزال ولم يكن فى الخزانة ما يكفى فكتب إلى عمالـــه فى أنحاء المملكة فلبوا النداء وعمر المسجد وتم على عهده إبعـــاد البطريـــرك الأورشليمى " الياس الثالث " الى بلاد الفرس وأمر بأن يسكن المسيحيين بحي واحد من أحياء القدس وتحصل منهم فديـــة وفى عـــهد "هـــارون الرشيد" سنة ٧٨٦م أحسن معاملة النصاري فسمح للإمبراطور "شـــارلمان " بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء حيث تقوم على آثارهـــا كنيســـة الدباغة .

وفى سنة ٧٩٦م أخذ على نفسه حماية الحجاج المسيحيين إلي بيـــت المقدس وقابله " شارلمان " بالمثل فراح يرسل فى كل عام وفدا إلى "القدس " يحمل الهدايا إلى الخليفة والأموال لفقراء المسلمين . ٠ وجدد "المأمون " سنة

٨١٣م عمارة " الصخرة " وعلى عهده زار الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، بيت المقدس وعدد من العلماء وأهل الفضل فاتسعت مملكته وأصبح الناس لا يعبأون إلا قليلا بأوامر بغداد وبعد استعانة " المعتصم " بالأتراك دب الضعف فى صفوف العباسيين إلى أن أوعز هؤلاء إلى " المعتز " أن يتنازل عن الخلافة وأودعوه السجن ثم قطعوا عنه الغذاء فمات جوعا وهكذا بدأ الضعف يدب شيئا فشيئا وقبع الخلفاء العباسيون بعد ذلك التاريخ فى قصورهم واقتصرت سلطتهم على الشئون الدينية .. ثم دخلت " القدس " فى حكم " بن طولون " سنة ٨٧٨م ثم "بنو الإخشيد " سنة ٩٣٨ م ومات " الإخشيد " فى مصر ودفن "بالقدس " سنة ٩٤٥م وتولى بعده "القاسم محمد " وعلى عهده زار "القدس " السائح الفارسى المشهور " ناصرى خسرو " الذى وصف "القدس " بقوله : " إنه كان فى القدس يومئذ عشرون ألف نسمة وأن فيها أسواقا جميلة وعالية وأرضها مرصوفة بالحجارة ويوجد على حافة سهل معروف بالساهرة قرافة عظيمة فيها مقابر كثير من " الصالحين " .

وفى عهد " كافور " ولى " محمد بن إسماعيل " ويذكر أن أتباعه أحرقوا كنيسة القيامة فسقطت قبتها ونهبوا كنيسة صهيون وأحرقوها وقال " ابن بطريق ": " إن لليهود أصابع فى هذه الحوادث وأنهم هدموا وخربوا أكثر مما هدم الوالى وأتباعه "

القدس الفاطمية سنه ٩٦٩ م

أصبحت القدس فاطمية سنة ٩٦٩م وكان فيها يومئذ عشرون ألف نسمة أغلبهم من الشيعة وكانت مشهورة بخصب تربتها وبزيتها وزيتونها وصابونها وتينها وقطنها وعنبها وزبيبها وتفاحها وخروبها وأما من حيث الأهمية السياسية فكانت بالدرجة الثانية بعد " الرملة " .. وحدث زلزال فى عهد " الظاهر " سنة ١٠٢٠ م كاد يودى ببقية المسجد الأقصى لولا أن " الظاهر" عمل على تعميرها فجاءت أحسن مما كانت وأعاد بناء الكنيسة وشرع فى بناء سور القدس ومن المؤسسات الفاطمية فى بيت المقدس (البيمارستان) أول مستشفى أسس فيها (ودار العلم) وهى فرع لدار الحكمة التى أسست فى مصر سنة ١٠٠٤م .

القدس والأتراك السلجوقيين سنه ١٠٧٢ م

وعلى عهدهم ثار المقدسيون على حاكمهم سنه ١٠٧٧ م فأرسل عليهم جيشا بقيادة " الخوارزمى " فحاصر المدينة وكان فيها عساكر مصر ففتحها عنوة ونهبها وقتل أهلها فلم ينج منهم أحد وقيل أنه قتل ثلاثة آلاف وسبى النساء واستعبد الأحرار وساد الجوع فى المدينة .

أما فى عهد " الأرتقيين " سنة ١٠٧٧ م فقد أسس " أرتق بن أكسك التركمانى دولة الأرتقيين وبعده حكم ولداه بيت المقدس وسائر فلسطين ثم جاء " الأفضل " من مصر إلى بيت المقدس ونصب المنجانيق وقاتل أربعين يوما وإتفق مع سكانها ففتحوا له أحد الأبواب فدخل فخرج

" ولد أرتق " من باب آخر وبقيت بهذا خاضعة إلى مصر أى تحت سـلطان السلجوقين الى الغزو الصليبي ٠

القدس وحملات الصليبيين

احتل الصليبيون القدس سنه ١٠٩٩ م بحجـة دعـوة البابـا " أوربانوس الثانى " لإنقاذ المسيحيين فى الأرض المقدسة ولكن البعض يقـول بأن المسلمين يومئذ يعيشون مع إخوانهم فى الوطنية واللغة فى سلام وصفـاء وأن الأسباب هى حب التخلص من الثقافة العربية وجعل الأرض المقدسـة لاتينية والبعض يقول إن الغاية تجارية بحتة وأيا كان السبب فبـدأ حصـار الصليبيين للمدينة ومقاومة المسلمين لهم حتى نفذ مالديهم من العتاد والمـؤن فإنهارت مقاومتهم ودخل الصليبيون المدينة فى ١٥ يوليو ١٠٩٩ م فقتلـوا سبعين ألفا من المسلمين ولم يختلف إثنان من المؤرخين لا من الفرنجة ولا مـن المسلمين فى إستفظاع المنكرات التى إقترفها الصليبيون تلك المنكرات الـتى أقل ماقيل فيها أنها يندى لها جبين الدهر ، وإنما مناقضة لتعـاليم السـيد المسيح الذى زعموا أنهم انما جاءوا لنصرته واستولوا على معظـم المبـانى والممتلكات سواء التى للمسلمين أو المسيحين المنتمين الى الكنيسة الشرقية وحولوا قبة الصخرة إلى كنيسة واستعملوا المسجد الأقصـى لمصالحـهم فأنقصوا من حجمه كثيرا وقسموه إلى أقسام فإتخذوا قسما منـه كنيسـة وقسما آخر سكنا لفرسان الهيكل والباقى استعملوه مستودعا لذخـائرهم واتخذوا السراديب التى تحت المسجد الحالى إسطبلا لحيوانـاتهم وأسـس الصليبيون من القدس والبلاد المجاورة مملكة لاتينية جعلوا مقرها القدس .

ومن آثار الصليبين فى القدس " كنيسة القديسا " حنة " الكائنة بين باب الأسباط وباب حطة وهي التي يسموها بالكنيسة الصلاحية وكنيسة القديسة مريم الكبرى التي بنى الألمان على أنقاضها كنيسة المخلص فى الدباغة وكنيسة القديسة مريم اللاتينية على مقربة من سوق الدباغة ومن آثارهم المستشفى المعروف بالمارستان .

القدس وصلاح الدين

لم ينقطع المسلمون عن مناوأة الصليبين منذ إحتلالهم لمدينة القدس وأكثر المسلمين إهتماما بها الأمير " نور الدين " الذى ما كاد يملك الشام حتى أخذ يرسل الفدائيين الى بيت المقدس ليجوسوا خلال الديار ويأتون بالأخبار ولكن المنية عاجلته قبل أن يحقق امنيته فتولى تلك المهمة خليفته " صلاح الدين الأيوبي " الذى ما كاد ينتهى من معركة " حطين " التى أنتصر فيها على الصليبين سنه ٥٨٣هـ سنه ١١٨٧ م حتى راح يفكر فى الاستيلاء على بيت المقدس فقضى من فوره عشرين يوما فى الناحية الشمالية وعسكر فى البطحاء المعروفة اليوم بالمسكوبية وباب العمود وباب الساهرة مهيئا خلالها وسائل القتال وكان فى مواجهته ٦٠ ألف مقاتل وأحاط المدينة من جهاتها الأربع بسور منيع فأنذر السكان أن يستسلموا بعد تهديدهم ولما أبوا راح يضربهم بالمنجنيق وبعد قتال عنيف يئس الصليبيون فأرسلوا طالبين الاستسلام فتردد فى البداية ولكنهم هددوا أيضا إذا أصروا دخول المدينة عنوة أن يقتلوا أسرى المسلمين ويهدموا الصخرة والأقصى ويقتلوا نساءهم كى لا يقعوا سبايا فى أيدى المسلمين وبعد

استشارة صلاح الدين لقواده وافق فأتاح لهم مغادرة المدينة لقـاء الجزيـة وهكذا تم لصلاح الدين فتح بيت المقدس وتم ذلك فى يـوم الجمعـة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ الموافق ٢ أكتوبر سـنه ١١٨٧ م وبعـد أن وزع الهبات والعطايا على قواد جيشه وأمرائه شرع فى تنظيم شئون المسـلمين فأزال من مسجدى الصخرة والأقصى آثار النصرانية ونقل المنبر الـذى فى حلب والذى صنعه نور الدين الى المسجد الأقصى عند إفتتاحه . ٠ ومـن أعمال صلاح الدين إنه أتى بعدد من القبائل " كبنى حارث" "وبنى مرة " " وبنى سعد " فأقطعهم بعض أجزاء المدينة ورتـب الأعيـاد والمواسـم وإنتعشت الحركة التجارية ومن آثاره أيضا البيمارستان وكنيسة الألمـان واهتم بسور المدينة فعمر وجدد ما تهدم منه وأنشأ أبراجا حربية بين بـاب العمود وباب الخليل وحفر حول السور الخنادق لئلا يسهل على الصليبيين الدنو من المدينة وكان يشارك العمال بنفسه فى نقل الحجارة وأعمال البنـاء وظلت كلمة الاسلام هى العليا فى المدينة بعد وفاة صـلاح الديـن سـنه ١١٩٣ حيث دفن فى دمشق .

القدس فى عهد المماليك

جدد الملك " الظاهر بيبرس " من مسجد الصخرة ووقف بعـض القرى لينفق ريعها على مصالح المسجد كل عام وعلى عهد الملك المنصـور سيف الدين قلاوون سنه ١٢٨٠ م قامت بالقدس منشآت عديدة (ربـاط قلاوون) والمسجد القلندرى وأصدر مرسـوما يقضـى بألايسـتخدم فى خدمات الدولة أحد من أهل الذمة وعلى عهد الملك " الناصر" قام ربـاط

الكرد والمدرسة الدرادارية والمدرسة السلامية والمدرسة الوجيهية والمدرسة الموصلية والجالقية والجاولية وغيرها كثير من المنشآت .

القدس فى عهد الأتراك العثمانيين

فى مخطوط للسائح التركى الشهير " أولياجلى " الذي زار القدس سنه ١٦٧٠ وصفها فمدح خبزها وثمارها ويبدو أنها اشتهرت يومئذ بمسكها وعطرها وبخورها ومباخرها النحاسية وكان فيها ٢٠٤٥دكانا وستة حانات عظيمة ومحتسب وأسواق وثلاثة وأربعون ألف كرم ورأى فى وسط هذه الكروم زهاء ١٥٠٠ منظرة وكان يسكنها ٤٦ ألف نسمة أكثرهم عرب مسلمون وكان فيها كنيسة الأرمن وثلاث كنائس للروم وكنيستان لليهود ومئتان وأربعون محرابا للصلاة ، وسبع دور للحديث وعشر دور للقرآن وأربعون مدرسة للبنين وستة حمامات وثمانية عشر سبيلا وتكايا سبعين طريقة منها الكيلانية والبدوية والسعدية والرفاعية والمولوية .

وفى عهدهم أنشئت السكة الحديدية بين يافا والقدس سنه ١٨٩٢ وأنشئ المستشفى البلدى الكائن غربي المدينة عند الشيخ بدر سنه ١٨٩١ وبرج عال على السور فوق باب الخليل وسبيل على مقربة منه سنه ١٩٠٧ وبنيت المدرسة الرشيدية عند باب الساهرة سنه ١٩٠٦وأنفق على عمارة الحرم القدسى ثلاثون ألف ليرة عثمانية ورصفت فى عهدهم شوارع القدس رصفا جيدا . . وإزداد تنافس الدول الأجنبية بالقدس ففتحت فيها قنصليات كثيرة أجنبية ومع ذلك وبالرغم من وجود عدد

قليل من الموظفين الأتراك فقد كانت الكلمة العليا فى القدس للعرب سكان البلاد الأصليين ولاسيما المسلمين منهم .

ومؤدي ذلك أن القدس منذ أن دخلها صلاح الدين بقيت فى أيدى العرب حتى حدثت كارثة فلسطين سنه ١٩٤٨ واستولى اليهود على نصف المدينة الغربى وكارثة سنه ١٩٦٧ والتى استولى فى أعقابها اليهود على كل المدينة أى ضموا إليهم القدس الشرقية والتى كانت فى يد العرب وأعقب ذلك فى أغسطس سنه ١٩٨٠ أن وافق الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) علي أن القدس بشطريها عاصمة موحدة وإلى الأبد لدولة إسرائيل .

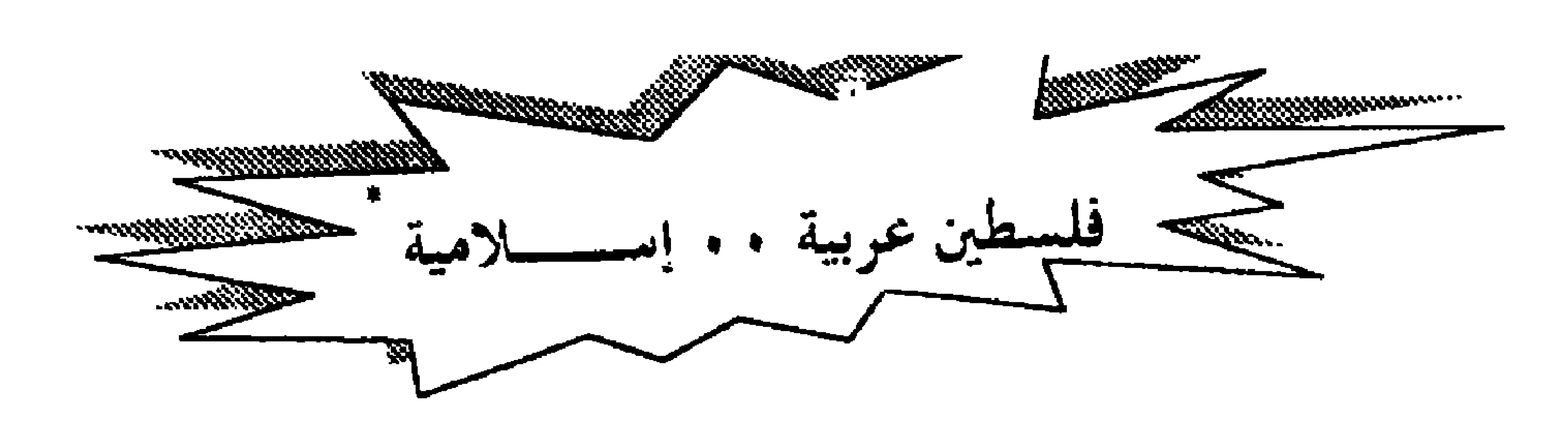
الفصل الثالث

** فلسطين عربية .. إسلامية

- القدس .. عاصمة فلسطين

- ملحقات بالمسجد الحرام

- موسي و بنو إسرائيل



أول حديث عن فلسطين العربية منذ ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد عندما رحل إلي جنوب البلاد الشامية قبائل كنعانية تنسب إلي كنعان بن حام بــن نوح وهي من أشهر وأعرق قبائل العرب فقد خرجت هذه القبــائل مــن الجزيرة العربية واستقرت في هذه البلاد استقراراً دائما .. وسمي ذلـــك الجزء من ذلك الحين ارض الكنعانيين والذي أطلقوا عليـــه " فلســطين " بعدما غزته قبيلة يونانية تسمي " فلستيا " جاءت من جزيرة " كريـــت " فاحتلت الساحل وسموه باسمهم وكان ذلك سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد.

وقد ثبت أن الخليل إبراهيم عليه السلام قد هاجر مـــن موطنـــه الأصلي بالعراق إلي أرض الكنعانيين "العرب" بوحي من الله ولمـــا حصـــل جدب بفلسطين حضر الخليل إبراهيم عليه السلام وزوجه سارة إلي مصـــر أيام حكم الهكسوس وبعد أن مكث وزوجه بمصر زمنا عاد إلي فلســـطين ومعهما هاجر المهداه من حاكم مصر لساره .

ومضي الأمر علي ذلك أيضا حتي تمكن العبرانيون في تلك الهضبـــة أن يولوا عليهم ملكا في عام ١٠٠٠ (ألف) قبل الميلاد ولكنه سرعان مـــا هزم أمام أهل فلسطين ولم يقم لهم شأن بعد ذلك إلا حين تـــولي " داود " قيادة جيش " طالوت المسمي (شارول) ضد الكنعانيين الذين اســـتولوا علي تابوقم فانتصروا عليهم وقتل " داود " جالوت الفلسطيني واســـتمر

* محمد أحمد عبد المطلب ، واقد ساد ، ١٩٩١ ، القاهرة ، ص ٧ : ١٢

حكم داود أربعين عاما استطاع خلالها توحيد القبائل العبرانية وأن يستولي علي أورشليم "القدس" وجعلها عاصمة له . . كما أنشأ علاقات ودية مع سكان الساحل ونمت التجارة وكثر المال فأنشأ المعابد والقصور ثم خلفه ابنه "سليمان" الذي مكث هو الآخر ملكا أربعين عاما فزاد اهتمامه بمظاهر الملك . . وأقام الهيكل علي جبل الثريا بالقدس سنة ١٠١٢ قبل الميلاد أي بعد خروج الإسرائيليين من مصر بحوالي ٤٨٠ سنة وهذا الهيكل طوله ٦٠ ذراعا وعرضه ٢٠ ذراعا وارتفاعه ٣٠ ذراعاً وأمامه رواق طوله ٢٠ ذراعاً وعرضه ١٠ أذرع وفي وسط البيت من الداخل صنع محراب قدس الأقداس ليوضع فيه تابوت عهد الرب والوصايا العشر واشترط الله علي سليمان أن يبقي له ولبني إسرائيل الهيكل إن لم يفسدوا فإن أفسدوا ضربهم وشردهم .

وقد كان فانقسمت مملكة سليمان " العبرانيون " إلي شطرين : وسط جبال يهوذا (شمالا) باسم إسرائيل وشطر في الجنوب باسم " يهوذا "

وظل العبرانيون منقسمين حتى جاء الآشوريون من الشمال ، فاكتسحوا " إسرائيل" ومحوها من الوجود ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك كدولة ، اللهم إلا تبعا لدولة أخرى .

وأما " يهوذا " جماعة العبرانيين فى الجنوب فقد انتهى أمرها على يد مصر ، واستطاعت بابل بعد ذلك أن تحتل هضبة " يهوذا " وأحرقت الهيكل ، وأسرت جميع من بها من العبرانيين وأرسلتهم إلى العراق .

وظل العبرانيون على هذا الحال : لا شعب ولا وطن ، حتى احتل (كورش) ملك الفرس بابل عام ٥٣٨ قبل الميلاد فاستعان باليهود الأسرى ، وجمعهم ، وسمح لهم بالعودة إلى فلسطين فازدادت قوتهم شيئا فشيئا حتى قاموا ببناء هيكلهم فى القدس .

ولكن سرعان ما غزا الفرس ، ثم البطالسة هذه البلاد وشردوا العبرانيون مرة أخرى .

ومنذ عام ٦٣ قبل الميلاد ظلت فلسطين تحت سيطرة الإغريق والرومان الذين قضوا على العبرانيين قضاء تاما ، فألغوا مجمعهم وهدموا السور ، فجاء "هيرود " الملك ، وبنى هيكلا آخر رائعا ، وعلق عليه "أوغسطس " النسر الذهبى شعار روما التى كانت تعادى اليهود .

وفى عام ٧٠ الميلادى أمر الامبراطور الرومانى "طيطس" بهدم هيكلهم ، وإنزال المجاعات بهم ما صيرهم أشباحا ، وقد تم تخريب المدينة تماما سنة ١٣٥ ميلادية . بحرث أرضها وطرد أهلها .. ومن ثم تفرقوا فى جميع أنحاء العالم ، ولم يتمكنوا من العودة إلى فلسطين مرة أخرى . حيث امتد حكم الرومان على فلسطين أكثر من خمسة قرون ، حتى رفرفت عليه الراية العربية والاسلامية فى القرن السابع الميلادى ، ودخلها الخليفة الثانى عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فاتحا ، لمدينة القدس .. وظل العنصر العربى على مدى أكثر من أربعة عشر قرنا .. أما أطماع الدول الاستعمارية التى برزت تحت عنوان مزيف خلال الحروب الصليبية التى كانت تستهدف الوطن العربى ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يحولوها عن

عروبتها بعد مائتى عام من القتال المتواصل ، وظلت فلسطين عربية ..
إسلامية .

فإحقاقا للحق لم تشهد فلسطين حكم الإسرائيليين إلا نحو ثمانين عاما فقط ، وهى المدة التى عاشها "داود " ومن بعده ابنه " سليمان " عليهما السلام .. فلماذا لم يدعوا لهم بحق فى مقاطعة " بيروبيجان " فى روسيا ، حين قررت الحكومة السوفيتية إعلان هذه المقاطعة ، مقاطعة يهودية تتمتع بالحكم الذاتى ، وتدار إدارة كاملة من قبل اليهود ... ولم يكن هذا ببعيد ، فقد كان ذلك فى عام ١٩٣٤ حين احتفلت الحكومة السوفيتية رسميا بإعلان هذه المقاطعة "يهودية " ، وألقى رئيس هيئة السوفيت الأعلى " البريزيديوم " " كالينين " خطابا فى عاصمة المقاطعة " تيخونكايا " قال فيه :

" إن إنشاء المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتى ، حدث هام جدا ... سيعطى للشعب اليهودى كل صفات الأمة ... وستكون " بيروبيجان " خلال عشر سنوات مركزاً أساسيا لجماهير اليهود " .

القدس ... عاصمة فلسطين :[1]

" القدس " تسمية عربية قديمة وكان اسمها " يبوس" نسبة إلى " اليبوسيين " من العرب النازحين من الجزيرة العربية مع الكنعانيين سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد وكان من ملوك اليبوسيين (ملكى صادق) وقد عرف بحبه للسلام ، فسميت المدينة قرية السلام .. أو (يور سالم) أي مدينه

---

[1] المرجع السابق ، ص ١٣ ، ١٦

السلام ، حتى عصر سليمان عليه السلام ، فحرفت الكلمة إلى " أور سالم" ثم " أورشاليم" وتؤيد التوراه عروبة القدس ، فقد جاء فى سفر القضاة :

" أن غلاما من بنى إسرائيل اقترح على سيده ، بعد أن هبط الليل عليهما ، أن يعرجا إلى القدس ؛ ليبيتا فيها ، فقال الرجل للغلام – لا تمل إلى مدينة غريبة لا أحد فيها من بنى اسرائيل – وكان ذلك سنة ١١٥٠ قبل الميلاد .

وفى عام ٦٣٦ ميلادية ، عندما اشتد حصار جيوش المسلمين لمدينة القدس أطل البطريرك "صفرونيوس " على المحاصرين ، من فوق أسوار المدينة ، وقال لهم إنا نريد أن نسلم ، لكن بشرط أن يكون التسليم لأميركم ، فقدموا له أمير الجيوش ، فقال لا ؛ إنما نريد أمير المؤمنين .

ولقد كان العهد العمرى رمزاً على تسامح الإسلام ، وأن البطريرك هو الذى طلب النص فى العهد على حرمان اليهود من مساكنتهم فيها تخلصا من دسائسهم ومؤامرتهم ، ولذلك حرموا عليهم العيش معهم فيها .. كما تثبت هذه الوصية عروبة القدس . وقد أعاد العرب بناء القدس وأسسوا فيها جامعة عظيمة .. وظلت القدس عربية إسلامية بعد الفتح العمرى سنة (١٥هـ -٦٣٦ م) حتى سنة (١٣٦٠هـ-١٩٤٨م) باستثناء فترة الحروب الصليبية التى استمر أثرها ثمانية وثمانين عاما ، حتى كانت معركة حطين التى استرد فيها صلاح الدين الأيوبى بيت المقدس فى يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٥٨٣ هـ .

وفى القدس الشرقية يوجد : المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة ،وكنيسة القيامة ، وجامع عمر ، وأديرة الطوائف المسيحية المختلفة ، وفيها يعيش الفلسطينيون الذين أصبحوا قلة ، بعد أن كانوا أغلبية بسبب مخططات دولة إسرائيل المزعومة ، كما جاء فى تصريح الدكتور (أيدر) رئيس اللجنة الصهيونية بقوله :" أهداف الصهيونية هي إبادة العرب جميعا"

وأما بالنسبة للقدس فهذه كلمات من مخطط العدو الصهيوني ، فلقد كتب اليهود فى دائرة معارفهم قبل قيام دولتهم المزعومة (إن اليهود يبغون أن يجمعوا أمرهم ويقوموا إلى القدس ويقيموا ملكهم هناك)

وأعلن رئيس حاخامي اليهود عام ١٩٤٨ بأن عاصمة الدولة لن تكون تل أبيب ، وإنها تكون القدس لأن فيها هيكل سليمان .. وصرح بن جوريون رئيس وزرائهم فى ذلك الوقت بأنه لا معنى لفلسطين بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون الهيكل ! !

ملحقات بالمسجد الأقصي

قبة الصخرة :

هى أروع وأجمل الآثار العربية والإسلامية ، وأبدعها عمارة وتنسيقا . ولقد بناها – بداية – عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ، ورصد لبنائها خراج مصر لسبع سنين .

أما الصخرة التى شيدت عليها القبة ، فكانت مقدسة عند الأديان الثلاثة على السواء ، وتقع فى وسط هضبة صخرية فسيحة تسمى " الحرم الشريف " ، ويقع على امتداد محورها المسجد الأقصى .

البراق أو المبكى :

المعروف عند أهل القدس ، أنه يوجد محل يسمى " البراق " وهو عند باب المسجد الأقصى المسمى : " باب المغاربة " ويوجد مسجد يسمى مسجد البراق أيضا يلاصق الجدار الغربي للمسجد الأقصى ، وقد هدمته إسرائيل حين اغتصابها الأخير ، فيما هدموه من مساجد وآثار دينية ، وأبنية وهو المكان الذي ربط فيه البراق النبوي الشريف ليلة الإسراء والمعراج .

المنبر :

آيه من آيات الفن ، وهو الذي اعتدى عليه الإسرائيليون ، فأحرقوه فى جملة ما أحرق .

هذا هو المسجد الأقصى ، الذي ظل عربيا وإسلاميا أربعة عشر قرنا ، موفور القداسة والأمان ، يدفع عنه المسلمون الغارات ، وينتزعونه من أيدى الغزاه مرة بعد أخرى ، ويضحون فى ذلك بالنفس والأموال ، إلى أن ابتلى فى هذا الزمان بالصهيونية .

بنو إسرائيل *

يرجع نسب بنى اسرائيل إلى يعقوب بن أسحق بن إبراهيم عليهم السلام ويعقوب عليه السلام هو النبي الكريم الذى يذكرنا بالسلسلة النبوية ، فهو ابن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن ، وفى ذرية اسحق تتركز كل السلسلة النبوية المنبثقة فى بنى اسرائيل .

---

* المرجع السابق ، ص ٢٧ - ٣٤

تزوج يعقوب بامرأه انجبت له عشر ذكور ، أكبرهم يـــــهوذا ، ثم تزوج زوجة أخرى أتت له بيوسف عليه السلام ، وأخيه " بنيامين " ولقـــد لقب يعقوب عليه السلام باسرائيل ، وقام بنوه بتســـمية أنفســـهم "بـــنى إسرائيل " •

قال الله تعالى : " لقد كان فى يوسف وأخوته آيات للسائلين " •
رأي يوسف رؤيا فى المنام ، تنبئ عن خير له فى المستقبل ، وكـــان طفــلا صغيرا ، فجاء إلى أبيه بوجه طلق ، وأمل متطلع ، يحكى له الرؤيا •
" يا أبت أنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتـــهم لى ساجدين • • فأسر إلى أبيه ما رأى ، ولما كان يعقوب يدرك ما بين يوســف وأخوته ، ويعرف ما تخفيه نفوس أبنائه العشرة من ظلمة العمى ، فقد حــذر يوسف مخافة عليه منهم • "يا بنى لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيـــدوا لك كيدا • • ومع كون يوسف قد امتثل النصح ، واستجاب لإرشاد أبيــه ، وأصاغ لموعظته فإن الكيد لم يضل طريقه إليه ، فأسر العشرة فيما بينـــهم فقالوا ما فصل المولى فى سورة يوسف بقوله تعالى : " إذ قـــالوا ليوســـف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة ، إن أبانا لفي ضلال مبين • إقتلـــوا يوسف ، أو اطرحوه أرضا ، يخل لكم وجه أبيكم، وتكونوا من بعده قومـــا صالحين •

تأججت نفوسهم بنار العداوة ليوسف وأخيه ، لما كان من قـــرب الأخيرين من قلب أبيهم وملازمته إياه • وارتياحـــه لجـــواره ، ووصـــف الحاسدون أباهم بالضلالة ، فياهم من قوم خاسرين ، ودبروا جرمـــــهم ،

وقالوا لأبيهم كما فصله الله تعالى فى قرآنه الكريم : " قالوا يا أبانا ، مـالك لا تأمنا على يوسف ، وإنا له لناصحون ، أرسله معنا غدا يرتع ويلعـب ، وإنا له لحافظون " . . وخدعوا أباهم ، فقد قالوا نحن حافظون ليوسـف ، وهذا عهد منهم ، وانهم لناكثون العهد ، كذبوا على يعقوب عليه السلام، وخدعوه ، وخانوا عهده .

وأسلم يعقوب عليه السلام يد يوسف لهم ، وتبع يوسف رهطـهم ، وكان فرحا ، منشرح الصدر ، ينظر إليهم نظرة حب وحنان ، فهو يـرى فيهم الاخوة المحبين له ، الذين يصحبونه معهم يوم لهوهم ولعبهم ، أما هـم فكانوا ينظرون إليه نظرة قرب ميعاد الهلاك . . ومضوا فى طريقهم علـى قبلة اتخذوها وجهه لهم ، فقد وصلوا إلى ما أرادوا من التمكين من يوسف، وقد أسروا إلقائه فى غيابه الجب ، فلما اقتربوا من البـئر ، أحـاطوا بـه وامسكوه ، فرأى فى وجوههم الشر ، فأخذ يبكى مسـترحما قلوبـا ذات قسوة أشد من الحجارة ، وقال لهم : إني أخوكم ، لا تقتلوني رحمة بـأبيكم يعقوب الذي أصبح شيخا .وكادت الجبال تتصدع لبكاء يوسف ، ولكـن القتلة جردوه من قميصه ، وألقوا به فى البئر ، وقضوا يومهم فى لهو ولعـب قد نالوا ما ابتغوا . . أبعدوا يوسف عن أبيهم ، وكانوا يرونه عدوا لهم . . وظل القتله على بعد من الجب يرقبون فى خفاء ، مصـير يوسـف عنـد اقتراب بشر من البئر ، حتى حل الظلام ، فعادوا إلى أبيهم عشاء يبكـون يقول القرآن الكريم : ﴿ وجاءوا أباهم عشاء يبكون ، قالوا يا أبانـا إنـا ذهبنا نستبق ، وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب . وما أنت بمؤمن لنا

ولو كنا صادقين ﴾ قالوا من قبل أن يأذن لهم أبوهم بأن يذهب يوسف ليلعب وعندما عادوا قالوا أنهم هم الذين كانوا يرتعون ويلعبون ، أما يوسف فقد جلس عند متاعهم حارسا ، وأخذوا يبكون ، فغاب صوت بكاء يعقوب وزوجه فى جهر بكائهم ، فقد كانوا يبكون بدمع غزير ، نفوسهم تطرب إلى صوت بكاء أبيهم وزوجه . . فبكاؤهم الذي جاءوا به مكذوب ، والدموع التى انحدرت منهم مفضوحة ، وأنهم ما قالوا : " وما أنت بمؤمن لنا" . . إلا وهم يدركون أن سترهم مهتوك ، ودعواهم مفتعلة ، ومنطقهم غير متماسك . . فياهم من منافقين . . وتلك صفة الاسرائيلى ، وأعرض عنهم يعقوب ، وكان يعلم حقيقة ما فعلوا مع يوسف ، فقال : " بل سولت لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميل " . . فقد استعان يعقوب عليهم بالله ، لأنهم مجرمون . وغلب يعقوب على أمره فعاش معذبا كظيما ، غير آمن على نفسه وولده الصغير " بنيامين " من شر المحيطين به . فكان كلما ذكر يوسف يبكى . . وجزاؤه الأذى من أبنائه العشرة ، فقد كان ذكر اسم يوسف يلهب غيرة نفوسهم ، فيصدون يعقوب عن ذكر يوسف بأذى أفواههم . فكان يعقوب يسترق البكاء ، ويبكى فى الظلام حبيس الدمع ، حتى ابيضت عيناه من الحزن ، وحل به ما أصاب أباه اسحاق من قبل فقد كف بصره . . وهكذا عاش يعقوب مع ابنائه وقد فقد الامن على نفسه وولده وزوجه ، وعندما أتى بنو إسرائيل إلى مصر ، عندما حلت بهم الشدة والمجاعة ، وكان يوسف وزيرا على مالية مصر وتموينها . . . " وجاء أخوة يوسف . فدخلوا عليه ، فعرفهم وهم له

منكرون " .. فقال لهم : وهم يجهلون أمره : ائتوني بأخ لكم من أبيكم ، فإن لم تأتوني به ، فلا كيل لكم عندي ، وإني صاحب أمر الكيل أوفى لمن أشاء ، فانقلبوا إلى أبيهم بلا كيل ، وقالوا لأبيهم ، منع منا الكيل حتى يذهب معنا أخونا ، فقال لهم يعقوب : هل آمنكم عليه ، كما آمنتكم على أخيه يوسف من قبل .. وأنتم لا تؤتمنون ، ولا عهد لكم .. وتتوالى الأحداث وتمر الصور .. لنقف عند تدبير يوسف لأمر حجز أخيه . وجعل وعاء كيل الملك فى رحل أخيه .. تدبر معى قول أبناء يعقوب العشرة ليوسف .. إن يسرق ، فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف فى نفسه ، ولم يبدها لهم بهذا المنطق وهذه الطبيعة ، تبر أو من فعل شقيق يوسف وقالوا إنه ورث هذه الفعلة عن أخ شقيق له من قبل ، وهم الذين ألقوه فى غيابه الجب .. فكظم يوسف غيظه ، وأسرها فى نفسه ، وقال لهم : أنتم شر مكانا .. شر من حوت الأرض على ظهرها كذبا وفسادا وخيانة وغدرا .. ولنختصر بعض الصور من هذه القصة لنصل إلى دخول يعقوب وزوجه وأبناؤه مصر ، وعُرضوا على يوسف فسجدوا له .. ويَسجل سفر التكوين ٤٦ ، إصحاح ٤٧ ، عددهم فى هذا الوقت بما نصه : " جميع النفوس ليعقوب التى أتت إلى مصر أيام يوسف ست وستين نفسا ". ودخل يعقوب وأبناؤه مصر ، وأقاموا بجوار يوسف فى ظل نعيم حضارة الفراعنة التى لم يشهد التاريخ لها مثيلا .. وأكرم الفراعنه مثواهم ، ظنا منهم إنهم أخوة يوسف وعلى شاكلته .. ومرت السنون ، وتكاثر نسلهم ، وفاحت رائحة أخلاقهم العفنة فى كل مكان فى أرض مصر ، فقد

آخذت نساؤهم وبناهم يظهرون عوراهن أمام أبصار الفراعنــــة ، إغــراء لإرتكاب الفاحشة جهرا معهن ، وعلى مرأى من رجالهن ، وكأن مــآرهن الإيقاع بين الفراعنة وزوجه .. وشاعت الفتن والدسائس بين الفراعنــة ، أولئك الذين كانوا يغشون بيوت بنى اسرائيل وشاع قول الزور بين قلة من الفراعنة الذين جاوروهم وكانت معاملة بنى اسرائيل لمن اطمأن لهم تقــوم على ربا فاحش .. حتى جاء يوم ضاقت فيه مملكة الفراعنة بخصال بــنى اسرائيل وأفعالهم ، فصدر لهم قانون خاص ، حرم علـــى الإســرائيلي أن يشغل منصبا فى الدولة كبر المنصب أم أصغر ، وأن يعيش أبناء إسرائيل فى أماكن منعزلة عن الفراعنة ، وفرض القانون على الاسرائيلى ألا يلبس نعلا فى قدميه ، وألا يعصى أمرا لفرعون أو خادم فرعون أو لاجئا بالعــــهد . وأن يقدم أولاده يوم ولادة كل منهم ليذبحــوا و.... و ....و....الخ إلى آخر القوانين التى بدلت نعيم بنى اسرائيل إلى بؤس ، وذلك بما كسبت أيديهم من ثمرات خبث نفوسهم . فقد كشف أمرهم . فأجلوا عن ديارهم التى كانت تجاور ديار الفراعنة . وأقاموا فى عزلة خــارج المــدن . فـلا يدخلوها إلا فى جوف الليل من طريق خلفى ، وكان فقراء الفراعنة الذيــن لا راحلة لهم ولا مركبة ينتقلون من مكان إلى مكان فى محفــات يحملــها اسرائيلي ، وكانوا يحرثون الأرض للفراعنة بدلا مـــن البغــال والجمــال والحمير .. وظل حالهم فى العذاب على يد الفراعنة قرابة نيف وخمســمائة سنة تقريبا حتى ظهر موسى عليه السلام ، الذى رباه فرعون ، ولما أصبح رجلا ، إنضم لأبناء اسرائيل ، بنى جنسه.

وجاء يوم استنجد به إسرائيلى من بطش فرعونى ، فضرب موسى الفرعون فقتله ، وفى الليلة الثانية استصرخه الاسرائيلى ، الذي استنصره بالأمس ... فقال الفرعوني لموسى : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس ، إن تريد إلا ، أن تكون جبارا فى الأرض .. وهرب موسى من الفراعنة حتى لا ينفذ فيه حكم القصاص إلى مدين .

موسى نبيا .. وبنو إسرائيل

إن جماعة بنى إسرائيل التى صحبت موسى عليه السلام ، خارجة من مصر ، بلغ تعدادها ستمائة ألف وهذه الجماعة الضخمة ، يقرر القرآن الكريم فسقها عدا رجلين غير موسي وهارون عليهما السلام هما : يوشع بن نون وكالب بن يفنه .

قال الله تعالي مشيراً إليهما حين عصا القوم أمر موسي عليه السلام بدخول الأرض المقدسة : " قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ، أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون" .. يقول الأستاذ علي الخطيب في كتابه " عقائد بني إسرائيل في القرآن الكريم : " أما البقية ــ فيما عدا الأربعة : موسي وهارون عليهما السلام والرجلان فقد استمر عصيانهم لأمر الله الذي أمرهم به موسي عليه السلام ، حتي لقد دعا عليهم إذ قال لربه : " فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين" فنكل الله بهم وواساه بقوله : " فلا تأس علي القوم الفاسقين " وحسبك بستمائة ألف تفسق فتخرج علي أمر الله وبين ظهرانيها نبيان فلا ينجو من فسقها إلا رجلان (أ.هـ) فمنذ يعقوب عليه السلام وحتي عيسي بن مريم عليه السلام

والأسفار المقدسة التي تؤرخ حياهم تذكر عنهم أنه ما من نبي من أنبيائهم أو حكيم من حكمائهم أو قاض أو أمير تولي فيهم إلا وخرجوا عليه غدراً واختلقوا عليه كل ما يشين وألصقوا به أحط الصفات .. يقول الله تعالي في كتابه الكريم ، القرآن العظيم : " لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علي لسان داود وعيسي بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فبئس ما كانوا يفعلون " ويصفهم القرآن الكريم ويؤكد أهواءهم الضالة المضلة وكذبهم وقتلهم الأنبياء " لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوي أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون "

والأسفار اليهودية والتي كتبوها بأقلامهم وجمعوها كتاريخ لبني إسرائيل بعد موسي عليه السلام بمئات السنين تحت اسم " الأسفار " هي خير ما يدينهم فهي مليئة بما وصفهم بالدس والكذب والاحتيال والفسق والفجور والإنحلال والجبن والذلة والمسكنة والغدر والخيانة والانحرافات الدينية والخلقية والاجتماعية والوحشية وسفك الدماء .

من أسفار العهد القديم " التوراة " [1]

خرج بنو إسرائيل من أرض مصر وعددهم ٦٠٠٠٠٠ (ستمائة ألف) وتبعهم فرعون وجنوده ففزعوا جداً وصرخوا إلي الرب وقالوا لموسي هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية ؟ ماذا صنعت بنا حتي أخرجتنا من مصر .. أليس هو الكلام الذي كلمناك به في

---

[1] محمد عبد المطلب . ص ٣٥

مصر قائلين : كف عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية • " سفر الخروج إصحاح ١٤ "

وعطش الشعب إلي الماء • • فخاصم الشعب موسي وقالوا أعطونا ماء لنشرب فقال لهم موسي : لماذا تخاصمونني ؟ ! لماذا تجربون الرب ؟ ! وتذمر الشعب علي موسي وقالوا : لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا بالعطش فصرخ موسي إلي الرب قائلا : ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجونني • " سفر الخروج الإصحاح ١٧ "

أوروسالم :

كانت القدس منذ خمسة آلاف عام في العصر البرونزي قرية كنعانية يحميها سور • وقد ظهر اسمها لأول مرة في التاريخ عام ٣٠٠٠ق•م علي تماثيل مصرية صغيرة ، ثم اختفي اسمها طوال خمسة قرون ولم يظهر مرة ثانية إلا في القرن السادس عشر قبل الميلاد عندما أرسل الملك عبد حيبا وهو آخر ملوك الكنعانيين - وكان خاضعا لمصر - يطلب العون من تحتمس الأول فرعون مصر ليحميه من أعدائه ، وذلك في عام ١٥٥٠ق•م•

وعندما وصل العبريون بعد ذلك بنحو قرنين من الزمان كان اسم القدس "يبوس " نسبة لليبوسيين ، ولم يكن يقيم فيها أكثر من ألف نسمة ولم يسع العبريون للسيطرة عليها •

ولا ريب في أن " أورو سالم " وهو أقدم أسماء القدس كانت تضم معابد قديمة جدا وقد دلت علي ذلك ألواح اكتشفت مؤخرا في سوريا ،

ويرجع تاريخها إلي أكثر من خمسة آلاف سنة وتتحدث عن عبادة الإله سالم في مدينة " أورو سالم " ، وفي عهد الكنعانيين كان يعبد فيها بعل ومولوخ

في نوفمبر عام ١٩٩٥ أصدرت مجلة " لونوفيـــل أو بزرفـاتور " الفرنسية عدداً خاصا عن القدس يعرض لوجهة النظر اليهودية حيث قالت " جوزيت إليا " **Josette Alia** : " يبدو واضحا أن الشعب اليـهودي لم يستقر قط في القدس في فترة التيه الطويلة ولا أثناء الاستيلاء الدموي علـي الأرض المقدسة بين القرنين الخامس عشر والثاني عشر قبل الميلاد ولم تبـدأ علاقة اليهود بالقدس إلا في عهد الملك داود الذي جعل من القدس عاصمة دينية وسياسية حقيقية "

وكان تابوت العهد الذي يعتبر عند اليهود رمزا للحضور الإلهـــي ينتقل مع اليهود عبر الصحاري طيلة عدة قرون ثم استقر نحو عشرين عامـا في قرية يعاريم قرب القدس وفي تلك القرية توج داود ملكا لبني اســرائيل فأخذ تابوت العهد ونقله إلي القدس التي أرادها عاصمة لملكه وكان اسمــها آنذاك " يبوس " ،

أما عارف باشا العارف الذي ولد في القدس عام ١٨٩٢ والـــذي صدر عليه حكم بالإعدام مع أمين الحسيني " مفتي القدس " عام ١٩٢٠ ثم خفف الحكم بعد ذلك فإنه يقول في كتابه :" تاريخ القدس" إن القـدس في البداية كان اسمها " يبوس " [1] وقد بناها اليبوسيون وهم بطن من بطـــون العرب الأوائل نشأوا في الجزيرة العربية ونزحوا عنها مع بعــض القبـائل

---

[1] - تاريخ القدس ص ١١

الكنعانية وذلك حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد واستوطنوا أرض كنعان " وهي فلسطين اليوم " ومن ملوكهم ملكيصادق وهو أول من بناها وقد عرف بالتقوي وكان محبا للسلام حتى أطلق عليه " ملك السلام " ومن هنا جاء اسم المدينة " سالم " أو " شالم " وخضعت يبوس لفراعنة مصر خضوعا تاما في عهد تحوتمس الثالث عام ١٤٧٩ ق٠م٠ ولم يحاول المصريون تمصيرها بل اكتفوا بتحصيل الجزية من سكانها وكان المصريون يطلقون عليها تارة اسمها اليبوسي "يا بيشي"وتارة أخرى اسمها الكنعاني "أورو سالم "

واحتل العبريون يبوس في عهد داود ويري المؤرخ برستيد أن يبوس كانت قبل احتلالها ذات حضارة وفيها حكومة وصناعة وتجار وديانة فاقتبس العبرانيون هذه الحضارة من يبوس وغادروا الخيام وسكنوا في بيوت مثل بيوت الكنعانيين ٠

داود والهيكل :

وقد أراد " داود " بناء هيكل في القدس فابتاع من أرنان اليبوسي أرضه الواقعة علي تل موريا ولكنه مات عام ١٠١٥ ق٠م دون أن يحقق حلمه ثم جاء ابنه سليمان فحقق هذا الحلم عام ١٠٠٧ ق٠م٠

وظلت القدس أربعة قرون يحكمها اليهود حتى فتحها البابليون بقيادة نبوخذ نصر وسبي أهلها وأرسلهم إلي بابل في عام ٥٨٧ق٠م ولكن "قورش " ملك فارس سمح للعبريين بالعودة من المنفي عام ٥٣٨ق٠م٠

وقد أوردت " جوزيت أليا " رأي " البروفسور فيربلوسكي " أستاذ علم الأديان المقارن بالجامعة العبرية في القدس عن تأثير المنفي البابلي علي

اليهود حيث قال : لقد تحدد مستقبل الشعب اليهودي في تلك الفترة فقد كان الأسر البابلي مأساويا ولكنه كان قصيرا نسبيا حيث امتد نحو خمسين عاما وهي فترة وجيزة بالنسبة للتاريخ ويومئذ تعلم اليهود الحياة في المنفى ولكنه كان منفي بدون يأس ومرحلة ترقب حيث تجمعوا في معابد كانت قبلتهم فيها إلي أورشليم المفقودة ثم لاحظوا أن الله لم ينسهم وأنهم استطاعوا العودة إلي ديارهم وأن يعيدوا بناء الأطلال وإقامة هيكل لهم.

لقد كانت هذه التجربة بمثابة " تدريب أول " قبل الشتات الكبير الذي أعقب هدم الهيكل الثاني وننظر بعد ذلك فيما ورد في " العهد القديم" بشأن تاريخ بني إسرائيل والهيكل معتمدين في ذلك علي الترجمة العربية التي أنجزتها " الرهبانية اليسوعية " في عام ١٨٨١م وأسهم في صياغتها الشيخ إبراهيم اليازجي، وقد جاء في مقدمة الطبعة الثانية للعهد القديم الصادرة عن " دار المشرق " في بيروت عام ١٩٩١ أن دخول بني إسرائيل في التاريخ كان حوالي سنة ١٢٠٠ق.م وأن أجداد بني إسرائيل كانوا بين شبه البدو السابقين الذين ظلوا يتنقلون طوال الألف الثاني قبل الميلاد علي حدود شبه صحراء الهلال الخصيب وكان دخول قبائلهم الهاربة من مصر تسللات سلمية إلي مناطق قليلة السكان لكنهم اضطروا في بعض الأماكن إلي محاربة المدن الكنعانية ومن رؤساء الأسباط الذين اشتهروا في تلك المعارك يشوع رئيس سبط أفرائيم وهو المعروف في التراث الاسلامي باسم يوشع بن نون ثم أصبح بنو اسرائيل شعبا لكن بنيته الأساسية ظلت غير ثابتة وازداد اتحاد الأسباط قوة في القرنين الثاني عشر

والحادي عشر حيث كان عليهم مواجهة عدة مخاطر تتمثل في البدو الغـزاة وممالك عبر الأردن والمدن الكنعانية ولكن أكبر المخاطر كان مصدره مـــن الفلسطينيين الذين كانوا في القرن الثاني عشر قبل الميلاد يقيمـــون علـــي الشاطئ الفلسطيني واقتصر الأسباط لمدة طويلة علـــي تحالفـــات دفاعيـــة محدودة ومؤقتة بقيادة رؤساء ملهمين أطلق عليهم اسم " القضاة " لكـــن قبائل بني اسرائيل أرادت تثبيت تماسكها أمام خطر الهجـــوم الفلســـطيني فأقامت علي رأسها ملكا مثل الشعوب المجاورة .

وبعد فشل مملكة شاول اعترف جميع الأسباط بداود اليهودي ملكـــا قبيل عام ١٠٠٠ ق.م فحارب الفلسطينيين علي الشاطئ وشن هجمـــات الآراميين في الشمال وأخذ داود في الوقت نفسه ينظم مملكته فأقام عاصمته في أورشليم ونقل إليها تابوت العهد وهو مركز العبادة المشـــتركة عنـــد الأسباط أما ابنه سليمان فإن ذروة أعماله تعد بناء هيكل أورشليم الـــذي يري فيه بنو اسرائيل علامة الحضور الإلهي الدائم في وسط شعبه ومركـــز تجمع الأسباط والبرهان القاطع علي أن شعب الله أصبح شعبا قائما ومقيمـــا علي أرضه .

وقد جاء في " سفر صموئيل الثاني " عن استيلاء داود علي القـــدس : " وزحف الملك ورجاله علي أورشليم علي اليبوسيين سكان تلـــك الأرض فكلموا داود وقالوا : إنك لا تدخل إلي ها هنا ، فحتي العميان والعُـــرَج يصدونك لكن داود أخذ حصن صهيون وهو مدينة داود " .

وقد أراد داود بناء هيكل للرب لكنه منع من ذلك طبقا لنبوءة ناتان النبي في الفصل السابع من سفر صموئيل الثاني مما يدل علي وجود تيـــار معاد للهيكل حيث كان ناتان يري المحافظة علي التقليد القديم المتمثـــل في التابوت والمعارض لبناء الهيكل لأنه علي مثال ما كان من هيـاكل في أرض كنعان وسوف تحل هذه المشكلة بجعل التابوت في الهيكل الـــذي سـيبنيه سليمان .

وقد جاء في الفصل الثالث من " سفر الأخبار الثـاني " عـــن بنـاء الهيكل: " وبدأ سليمان في بناء بيت الرب في أورشليم في جبل الموريا حيث تراءى لداود أبيه في المكان الذي أعده في بيدر أرنان اليبوسي "

وإذا كان ناتان النبي معاديا لفكرة بناء الهيكل فإن النبي إرميا الـــذي شهد سقوط أورشليم عام ٥٨٧ ق.م في أيدي البابليين كـــان يـــري أن الهيكل وحده غير كاف لانقاذ الشعب لأن الله يمكن أن يهجر هيكله .

وجاء في سفر إرميا : " لا تتكلوا علي قول الكذب قـــائلين : هـــذا هيكل الرب هيكل الرب ، هيكل الرب " ثم يقول " أنصار هـــذا البيـــت الذي دعي باسمي مغارة لصوص أمام عيونكم ؟ بل هذا ما رأيت أنا يقـــول الرب " وهو نص بالغ الأهمية .

ويروي الفصل ٢٦ من سفر إرميا تعرض هذا النـــبي للتـــهديدات بسبب انتقاداته اللاذعة في شأن الهيكل وذلك في أوائل عهد يوياقيم حوالي عام ٦٠٨ ق.م .

اليهودي الذي هدم الهيكل :

ونود أن نشير إلي أن يهوديا شهيرا في عصره قد شـــارك في هـــدم الهيكل مع القوات الرومانية عام ٧٠م هذا اليهودي هو تيبريوس جوليـوس ألكسندر الذي كان من أســـرة يهوديـــة ثريـــة ذات مكانـــة كبـــيرة في الإسكندرية وكان أبوه الكسندر أخا للفيلسوف المعروف فيلون .

وقد عين تيبريوس عام ٤٦م وأليا علي إقليم اليهودية حتى عـام ٤٨م وفي عام ٦٣ م كان ضابطا كبيرا في جيش الشرق في أرمينيا وفي عـــام ٦٦ م عاد إلي مصر وعينه نيرون حاكما عليها حتى عام ٧٠ م

وفي عام ١٩٩٠ صدر في باريس كتاب عنوانه " تاريخ يهود النيل " Histoire des juifs du Nil تحت إشراف جاك حسون وهو يـــهودي من أصـل مصري وجاء أول أبواب هذا الكتاب تحت عنوان " يهود مصـــر في العصر القديم " وقد كتبه جوزيف ميليز مودرز يوفسكي وهو بولنـــدي وأستاذ للتاريخ القديم في جامعة السوربون وقد ذكر مودرز يوفســـكي في بحثه هذا أن تيبريوس الذي يعتبره اليهود مرتدا رافق تيتـــوس في الحـــرب اليهودية واشترك في حصار أورشليم حيث كان مستشارا لتيتوس ورئيســا لأركانه عام ٧٠م عند هدم الهيكل ويبدو أن تيبريوس لم يتأثر بهدم الهيكـــل لأنه " لم يعد يهوديا " حيث يصفه المؤرخ يوسيفوس بالخائن وقد ذهب هذا اليهودي إلي روما عام ٧١ م وأصبح الشخصية الثانية بعد الامبراطور وكان " تيتوس " الذي أصبح امبراطورا فيما بعد أبنا للإمبراطور " فسباســـيان" ونائبا له عند هدم الهيكل .

وواضح تماما من كل ما سبق أن هدم هيكل سليمان وهـــو الهدم الأول عام ٥٨٧ق٠م علي يد نبوخذ نصر أو بخت نصر ملك بابل ثم هـدم الهيكل الثاني عام ٧٠ بعد ميلاد المسيح عقابا لليـــهود علـــي معاصيــهم وخياناتهم كما جاء في كتبهم المقدسة كان قبل ظـــهور الاســـلام بمئـــات السنين٠

ولما فتح عمر بن الخطاب القدس رفض الصلاة في كنيســـة القيامـــة وأزال القمامة عن صخرة قيل إن إبراهيم عليه السلام أراد ذبح ابنه عليـها لما أمر بذلك ٠

وخلاصة القول أن تاريخ الاسلام لا يعرف الهدم ولا الإبـــادة ٠٠ لا يعرف هدم معابد الآخرين ليقيم عليها مساجده ولا إبادة الشعوب الـــتي تخالفه في العقيدة أما المسجد الأقصي فليس هناك أي دليل علـــي وجـــود علاقة مكانية بينه وبين الهيكل سوي أن المسجد الأقصي بـــني في القـــدس وكان ذلك في العهد الأموى٠

وهنا قد ينشأ لبس يستحق الإيضاح فقد جاء في أول سورة الاســـراء ﴿سبحان الذي أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصـــا الذي باركنا حوله﴾ [الاسراء : ١] ٠٠ فقد يتساءل البعـــض عـــن كيفية وجود المسجد الأقصي الذي نعرفه اليوم والذي تشير إليـــه الآيـــة القرآنية وكان ذلك قبل فتح القدس مع أن هذا المسجد الأقصى قد بـني في العهد الأموى؟ وحقيقة الأمر أن المسجد الحرام هنا قد أطلق علـــي مكـــة

المكرمة من قبيل إطلاق الجزء علي الكل حيث إن النبي عليه السلام قد أسري به من بيت أم هانئ بالاضافة إلي أن مكه كلها حرم .

كما أن المسجد الأقصى هنا أيضا قد أطلق علي بيت المقدس من قبيل إطلاق الجزء علي الكل [1].

ويمكن القول أيضا إن إطلاق المسجد الأقصى علي هذا المكان المقدس إنما كان باعتبار ما سيكون وهو أمر معروف في البلاغة العربية مثلما ورد في سورة " يوسف " : ﴿ قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا ﴾ مع أن العنب هو الذي يعصر فكان إطلاق الخمر هنا باعتبار ما سيكون .

وحيث إن القدس في نظر الاسلام الذي آمن بكل الانبياء مكان مقدس فقد أقام فيها المسجد الأقصى ليكون رمزاً للقاء بين الأديان السماوية في " مدينة السلام " التي تعد صورة " لدار السلام " التي أشار إليها القرآن الكريم . . وقبة الصخرة أقدم نموذج فريد لفن العمارة الإسلامية وتحت هذه القبة تقوم الصخرة المقدسة التي يتراوح ارتفاعها عن الأرض ما بين متر ومترين وطولها حوالي ثمانية عشر متراً وعرضها نحو ثلاثة عشر متراً وهي محاطة بسياج من الخشب المنقوش ومن قمة هذه الصخرة المشرفة عرج سيدنا محمد ﷺ إلي السماء . . وروي عنه ﷺ " صليت ليلة أسري بي إلي بيت المقدس عن يمين الصخرة " وروي عنه أيضا أنه قال : "صخرة بيت المقدس من صخور الجنة " .

---

[1] سامي محمد عبد الحميد ، القدس في اليهودية والمسيحية والإسلام ، مكتبة الآداب ، ٢٠٠١ ص ٧٤

الفصل الرابع

** الأصول التاريخية للهيكل والحائط الغربي

- حـــائـــط المبكي المزعـــــوم

- الأدلة علي أن الحائط الغربي هو حائط البراق

- الممارســـــات الإســــرائيلية

الأصول التاريخية للهيكل والحائط الغربي

حائط البراق حائط يحد الحرم القدسي الشريف من الغرب وترجع هذه التسمية إلي أن الرسول عليه الصلاة والسلام طبقا للآية الكريمة : ﴿سبحان الذي أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصا الذي باركنا حوله . . .﴾ أن الرسول ﷺ ركب البراق حتى باب المسجد حيث ربط الدابة في مكان بالحائط الغربي للحرم في الحلقة التي كان يربط فيها الأنبياء من قبل ودخل ﷺ المسجد حيث صلي بالأنبياء ثم عُرج به إلي السموات العلا .

وترجع أهمية بيت المقدس إلي أن الله سبحانه وتعالى قد خصها بالأنبياء ابتداء من إبراهيم حتى عيسي بن مريم عليهما السلام . . ولقد صلي إليها الرسول والمسلمون بمكة ثم ستة عشر شهرا بالمدينة ثم أمره الله أن يتحول إلي الكعبة بقوله تعالى : ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ .

والمسجد الأقصى هو ثاني مسجد بني علي الأرض بعد المسجد الحرام وطبقا لما رواه أبو ذر وأخرجه البخاري ومسلم أن الرسول محمدا عليه الصلاة والسلام قد أخبر أبا ذر أن المسجد الحرام بني قبل المسجد الأقصى بأربعين سنة .

وأما بالنسبة لهيكل سليمان فقد بناه في آورشليم سليمان عليه السلام ليكون مركز العبادة اليهودية وكان الغرض من بنائه هو عبادة الله

سبحانه وتعالى حيث كان الهيكل مسجدا للموحدين .. وبينما تذكر بعض المصادر أن الهيكل بني خارج ساحات المسجد الأقصى تذكر أخرى أن مكانه تحت قبة الصخرة بينما تذكر المصادر اليهودية أنه تحت المسجد الأقصى .

وتذكر المصادر التاريخية أنه تم هدم الهيكل ثلاث مرات : فقد تم علي يد "نبوخذ نصر" ملك بابل الذي هدم أسوار القدس (أورشليم) وتخريب المدينة تماما وهدم الهيكل واحراقه بعد حصار للمدينة دام تسعة عشر شهرا من يناير ٥٨٨ حتى يوليو ٥٨٧ ق.م وسبي عدد كبير من اليهود إلي بابل كما هربت أعداد منهم إلي مصر وأعيد بناء الهيكل حوالي سنة ٥٢٠ - ٥١٥ق.م في عهد قورش الفارسي وهدم الهيكل للمرة الثانية خلال حكم السلوقيين علي يد الملك أنطيوخوس الرابع بعد قمع الفتنة التي قام بها اليهود عام ١٧٠ ق.م وأعيد بناء الهيكل مرة ثالثة علي يد هيرودوس الذي أصبح حاكما علي اليهود عام ٤٠ ق.م بمساعدة الرومان وهدم الهيكل للمرة الثالثة علي يد الرومان الذين فتحوا مدينة القدس عام ٧٠م ودمروها بأسرها كما دمروا الهيكل تماما [1] .

ويروي الكتاب المقدس حالة الهيكل قبل الهدم الثالث له ونبوءة المسيح عليه السلام بخرابه حيث لم يحافظ اليهود علي كون الهيكل مكانا للموحدين وحولوا مكان الهيكل إلي مكان للبيع والشراء فطبقا لما ورد في

---

[1] مصطفي كمال عبد العليم وآخر ، اليهود في العالم القديم ، الطبعة الأولي دار العلم دمشق ١٩٩٥ ، ص ١٦٥ ، ١٦٦

انجيل متى " ودخل يسوع إلي هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعـــون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام وقال لهـم: مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعي وأنتم جعلتموه مغارة لصوص . . . "

" يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كـــم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيـــها ولم تريدوا.هوذا بيتكم يترك لكم خرابا . . . "

وفي فقرة أخرى من الإنجيل ورد النص التالي : " ثم خرج يســـوع ومضي من الهيكل فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه . . الحق أقول لكم أنه لا يترك هاهنا حجر علي حجــر لا ينقض" .

ولقد تحققت نبوءة المسيح عليه السلام فقد تم تدمير الهيكل تمامـــا علي يد الرومان وهو التدمير الأخير للهيكل وبينما تشير بعض المصــادر إلي أن الهيكل لم يبق به سوى قسم من حائطه الغربي تشير أخرى إلي أن ســـائر أجزاء الهيكل لم يبق منها شئ علي الإطلاق .

وعندما حدث الإسراء لم يكن بهذا المكان بناء معروف بالمســـجد الأقصى وإنما كان المكان الموجود بين أسوار الحرم الشريف بالقدس مكانـــا مخصصا لعبادة الله سبحانه وتعالى ولم يكن مسجدا بالمعنى الحالى وإنما سمي في الآية الكريمة بالمسجد لأنه مكان العبادة [1] .

---

[1] عبد الحليم محمود ، بيت المقدس في الإسلام ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٦٩ ص ٦٨ ، ٦٩

ومنذ حدث الإسراء عرف أهل القدس أنه يوجد مكان في الحـائط الغربي للحرم القدسي يسمي البراق ٠

أما بالنسبة للمسجدين المعروفين الآن باسـم المسـجد الأقصـى ومسجد الصخرة فقد تم بناؤها خلال الحكم الأموي حيث شـرع عبـد الملك بن مروان في بنائهما عام ٦٥ هـ ويبدو أن بعض أجزاء البناء قـد تمت في عهد الوليد بن عبد الملك٠

ولإنجاز هذا المشروع الكبير ببناء مسجد الصخرة تم رصد خـراج مصر سبع سنوات كانت الأموال خلالها تحمل إلي القدس حـتى تم البنـاء وهذا تشريف لمصر تعتز به في تاريخ هذه الأمة ٠٠ وقد تـابع الخلفـاء والسلاطين والملوك فيما بعد الاهتمام بهذين المسجدين والانفـاق علـي صيانتهما وقد دام الحكم العربي لفلسطين حوالي أربعة عشر قرنا من الزمان باستثناء الفترة التي تمكن فيها الفرنجة من الاستيلاء علي بيـت المقـدس وأجزاء من فلسطين في الفترة مـن ١٠٩٩ إلي ١٢٩١ م إلي أن تمكـن صلاح الدين الأيوبي من الانتصار عليهم في واقعة حطين عـام ١١٨٧ م واسترد منهم بيت المقدس بعد أن سالت دماء العرب أنهـارا مـن أجـل استردادها وتابع الظاهر بيبرس وخليفته قطز ما بدأه صلاح الدين حـتى تم تطهير فلسطين نهائيا من الفرنجة ٠٠ وقد لاقي اليهود في ظـل الحضـارة العربية معاملة طيبة فقد سمح لهم المسلمون بممارسـة شـعائرهم الدينيـة ونشاطهم الاقتصادي وشهد اليهود في مصر والمغرب والأندلـس نهضـة ثقافية واجتماعية واقتصادية وازدهرت أوضاعهم بعد قيام الخلافة بعد قيام

الخلافة العباسية في منتصف القرن الثامن الميلادي وفي العصر الطولـــوني لا نجد فيما ذكره المؤرخون أية إشارة إلي الجزية التي كانت تحصل من اليـــهود كما شغل اليهود عددا من الوظائف الكبرى وفي العصر الإخشيدي كـانت العلاقات بين المسلمين واليهود طيبة في معظم الأحيان وفي العهد الفـــاطمي بلغ بعضهم مرتبة الوزارة وتمتعوا بقسط وافر من التسامح الديني يدلنا علي ذلك بناء كثير من المعابد في تلك الفترة .

وقد ازدهرت الحركة الفكرية اليهودية في ظل الحكم العربي فقـــد شارك كثير من علمائهم في حضور مجالس العلم عند المسلمين كما ألـــف علماؤهم كثيرا من الكتب المهمة في اللغة والفلسفة والعلوم والعقـــائد ولم يكن ذلك إلا بسبب الحرية التي وفرها لهم الحكم العربي في مختلف العصور

في تلك الفترة التي كان اليهود يتمتعون فيها بالتسامح والمعاملـــة الطيبة في العالم العربي كانت أوربا ابتداء من القرن الثامن الميلادي قد بدأت تعامل اليهود معاملة مختلفة وقد استمرت أوربا في نظرتها ومعاداتها لليـــهود طوال العصور الوسطي : فمن طردها من إحدى البلاد كمـــا حـــدث في إنجلترا عام ١٢٩٠ م إلي مصادرة كتبهم وحرقها في أخرى إلي حرمانهم من حقوقهم السياسية في بلد ثالث إلي غير ذلك من ألوان التفرقة التي شـــهدتها أوربا وحفلت لها مراجع تلك الفترة.

وكان اليهود يعيشون في أوربا في أحياء خاصة بهم لكنهم أرغمـــوا بعد ذلك علي التجمع في تلك الأحياء التي كان يطلق عليها كلمة " جيتـــو " بمعني الحي اليهودي أو حارة اليهود وأصبح نظـــام " الجيتـــو " ظـــاهرة

اجتماعية ساهمت في الحفاظ علي عادات اليهود وسلوكهم وعنصريتهم كما تم في تلك الأحياء وضع الكثير من أوراقهم السرية مما زاد من شعور تلك المجتمعات بالحذر والخوف من اليهود خاصة مع محاولتهم السيطرة علي اقتصاديات البلدان التي عاشوا فيها وتعاملهم بالربا الفاحش ومعارضتهم للتعاليم المسيحية وانضمامهم إلي القوى المضادة للبلاد الأوروبية وعملهم علي تقويض الحياة في المجتمعات الأوروبية وإشاعة الفساد والانحلال فيها [1] .

ومنذ الفتح العربي لفلسطين في عهد عمر بن الخطاب عام ١٥ هـ (٦٣٦ م) شهدت القدس ثلاث فترات من العمران : الأولي خلال الحكم الأموى والثانية خلال العصر المملوكي (من ١٢٥٠ م إلي ١٥١٦ م) والثالثة خلال القرن الأول من الحكم العثماني للبلاد العربية (القرن العاشر الهجرى والسادس عشر الميلادي) .. بل آن عددا من السلاطين العثمانيين أحسنوا معاملة اليهود قبل ظهور أهدافهم الصهيونية فقد سمح لهم السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١ م) فاتح القسطنطينية بالاستقرار في إستانبول وعندما طرد اليهود من آسبانيا عام ١٤٩٣ م أصدر السلطان بايزيد الثاني أمرا يقضي بحسن معاملتهم .

وهكذا أصبحت فلسطين وممتلكات الدولة العثمانية في أوائل القرن السادس عشر ملجأً لليهود المطرودين من أسبانيا والبرتغال أو الهاربين من

---

[1] محمد جمال الدين سرور ، الدولة العربية ، صفحات متفرقة

البلاد الأوروبية الأخرى .. وخلال حكم السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ – ١٥٦٦ م) شهدت الدولة العثمانية صحوة حضارية وأعطي عناية كبيرة لبيت المقدس فقد أمر سليمان بإعادة بناء أسوار المدينة وبلغ طول السور الذي مازال قائما حتى اليوم ميلين وارتفاعه حوالي أربعين قدما.

ودعا السلطان رعاياه إلي الإقامة في بيت المقدس خاصة اللاجئين اليهود الذين استقروا في الدولة العثمانية بعد طردهم من اسبانيا وكان معظم اليهود يفضلون في ذلك الوقت الاقامة في طبرية وصفد لكن مجتمعهم في القدس تزايد عددا في عصر سليمان فأصبح ثلاثة أضعاف من كانوا موجودين قبل ذلك ففي عام ١٥٥٣ م كان هناك ما يقرب من ١٣٣٨٤ نسمة وبلغ تعداد السكان اليهود ١٦٥٠ نسمة وكان معظم المسلمين عربا محليين من أهل السنة غير أنه كان هناك مسلمون من شمال أفريقية ومصر وفارس والعراق والبوسنة والهند وآسيا الصغرى.

سليمان القانوني والحائط الغربي : [١]

يذكر مرجع أمريكي أن اليهود لم يظهروا في الماضي أي اهتمام بذلك الجزء من الحائط الغربي فبعد أن أعيد بناء الهيكل للمرة الثانية في عهد هيرودس عام ٤٠ ق.م كان المكان جزءا من مركز تجارى ولم يكن له أهمية دينية وكان اليهود يتجمعون للصلاة علي جبل الزيتون وعند بوابات

---

[١] عادل حسن غنيم ، حائط البراق أم حائط المبكي ، ٢٠٠١ ، القاهرة ، صفحات متفرقة

الحرم وعندما مُنعوا من دخول المدينة أثناء الفترة الصليبية كانوا يصلـــون عند الحائط الشرقي للحرم غير أن تغيرا حدث خلال الحكـــم المملوكـــي حيث كانت هجمات البدو سببا في عدم تجمعهم للصلاة علي جبل الزيتون فاتجهوا إلي مساحة قرب الحائط الغربي للحرم القدسي الشـــريف حيـــث أصدر سليمان القانوني فرمانا يسمح بمكان محدد لليهود للصلاة عند الحائط الغربي .. وقام سنان باشا مهندس البلاط الكبير - الذي كـــان مـــا زال مقيما بالقدس للإشراف علي بناء سور القدس بتخطيط الموقع وبالحفر كـــي يتيح للحائط ارتفاعا أكثر وقام ببناء حائط مواز له يفصل مصلي اليـــهود عن حي المغاربة الذي يعتبر وقفا اسلاميا من أواخر القرن ١٢ م وســـرعان ما أصبحت المنطقة مركزا للحياة الدينية ليهود القدس .

ولم تكن تقام هناك بعد طقوس رسمية للعبادة غير أن اليهود كـــانوا يحبون قضاء فترة ما بعد الظهيرة هناك لقراءه المزامير ويقبلـــون الأحجـــار وأثني اليهود علي سليمان القانوني وردد اليهود أنه ساعد في تنظيف الموقـــع بنفسه وأنه قام بغسل الحائط بماء الورد لتطهيره أسوة بما سبق أن فعله عمر بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبي .. وسرعان ما اجتذب الحائط الغـــربي أساطير كثيرة فقد تم ربط الحائط بأقاويل من التلمود تخص الحائط الغـــربي وهكذا أصبح الحائط رمزا لليهود واصبحوا يشـــعرون بتواصلـــهم مـــع الأجيال الماضية وبمجدهم الذي ولى .

ويشير مرجع صهيوني آخر إلي أن سليمان القانوني هو الذي سمـــح لليهود بمكان للصلاة عند الحائط الغربي للحرم القدسي الشـــريف حيـــث

ورد في بحث مقدم من روحي الخطيب أمين القدس السابق إلي مؤتمر حماية المقدسات والتراث الاسلامي في فلسطين نص أخذه من الموسوعة اليهودية الصادرة في القدس عام ١٩٧١م يقول النص : " إن الحائط الغربي أصبح جزءا من التقاليد الدينية حوالي ١٥٢٠ م نتيجة للهجرة اليهودية من أسبانيا وبعد الفتح العثماني سنة ١٥١٧ م " .

ومؤدي ذلك أن العثمانيين في عهد السلطان سليمان القانوني هم الذين منحوا اليهود حق التعبد والصلاة في مكان محدد عند حائط البراق أو الحائط الغربي للحرم القدسي من قبيل التسامح الديني مع اليهود بعد طردهم من أسبانيا أواخر القرن الخامس الميلادي .

وبعد وفاة سليمان القانوني في عام ١٥٦٦ بدأت دلائل ضعف الدولة حيث تدهور النظام الاقتصادي تدريجيا وتعرضت الدولة لبعض الهزائم العسكرية كما كان هناك تدهور واضح في الأمن العام خاصة في الطرق المؤدية إلي القدس التي أصبحت تحت رحمة البدو غير آن السلاطين لم يهملوا الحرم حيث تم إعادة ترميم قبة الصخرة بواسطة عدد من السلاطين خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر وأصدر السلاطين فرمانات عديدة خاصة بالأماكن المقدسة وكان من واجبات الباشوات الأساسية حفظ النظام في منطقة الحرم والتأكد من سلامة ونظافة الأماكن المقدسة وكانت عائدات الأوقاف تستثمر في أعمال الصيانة كما كانت الحكومة علي استعداد لاقتسام النفقات في حالة الضرورة .

وفي عام ١٨٠٠ كان عدد سكان القدس ٨٧٥٠ نسـمة منـهم ٤٠٠٠ مسلم و٢٨٥٠ مسيحيا و٣٠٠٠ يهوديا وتميزت العلاقات بـين بعض تلك المجموعات بالود مثل العلاقات بين المسلمين واليـهود في حـي المغاربه حيث كان يسمح لليهود بالسير في ذلك الحي كـي يصلـوا إلي الحائط الغربي للحرم القدسي.

إبراهيم باشا والقدس الشريف [1]

بعد أن فتح محمد علي بلاد الشام ودخل جنوده بيت المقدس اتبـع محمد علي سياسة التسامح مع أهلها وزوارها كما حاول تخفيـف أعبـاء الضرائب والعوائد التي فرضها العثمانيون علي أهل الذمة في هذه البلاد.

وتنفيذا لهذه السياسة قرر إبراهيم باشا في ٥ أغسـطس ١٨٣٢م عدم فرض ضرائب علي زوار هذه المدينة المقدسة أو قطع الطريق عليهم.

ونتيجة لذلك تمتع اليهود في القدس في عصر محمد علي بحريتـهم الدينية كما تمتعوا بالأمن لدرجة أن رؤساءهم عبروا عن سعادتهم بمـا ذاع عن عدالة الدولة العلية المصرية وتمتعهم بالأمن والأمان في ظلالها.. ورغم اتباع تلك السياسة مع اليهود وتمثيلهم في مجلس شورى القـدس لكنـهم حاولوا استغلال الظروف المواتية ولم يتوقفوا عن رغبتهم في الحصول علـي مزيد من المزايا حيث طالبوا بالسماح لهم بشـراء الأمـلاك والأراضـي الزراعية نظير دفع الضرائب والأموال الأميرية لكن أعضاء مجلس القـدس

[1] المرجع السابق، ص ٣٠، ٣١

الشريف بعد أن تداولوا في الأمر قرروا عدم جواز قيام اليـــهود بشــراء العقارات والأراضي بالقدس لكن المجلس سمح لهم بالتجارة وقد وافق محمد علي علي هذا القرار مما يوضح أن سياســة الحكــم المصــري في الشــام (١٨٣١ - ١٨٤٠ م) كانت ترمي إلي المحافظة علي الوضع العام للمدينة المقدسة .

وأما عن الحرية الدينية خلال تلك الفترة فقد أعلن إبراهيم باشـــا منذ بداية الحكم العثماني للشام مساواة جميع الطوائف في المعاملات والحرية الدينية ، حيث تم إلغاء كافة العوائد والمرتبات والحراسة التي كانت تؤخـــذ من الأديرة المسيحية واليهودية ، كما سمح لليهود بالاقتراب من الحـــائط والبكاء عنده مقابل ٣٠٠ جنيها إنجليزي كانوا يسددونها سنوياً لوكيـــل وقف أبو مدين وقد جرى هذا في إطار السياسة التسامحية التي كان يتبعـــها إبراهيم باشا .

ووقف أبو مدين هذا أرض مجاورة للحائط الغربي مـــن المســجد الأقصى أوقفها الملك الأفضل بن صلاح الدين عام ١١٩٢ م علي الحجاج المغاربة حيث تم بناء منازل لهم عرفت باسم حي المغاربة ، ثم أطلق عليـــها فيما بعد اسم " أبي مدين الغوث " وتم توثيق الوقفية عــــام ١٦٣٠ م .. لكن إبراهيم باشا أصدر مرسوما في شهر مايو عام ١٨٤٠ حظر به علـــى اليهود تبليط الممر الكائن أمام الحائط ، ورخص لهم بزيارته فقـــط علـــى الوجه القديم .

ورغم موقف السلطان عبد الحميد من عدم الموافقة على هجرة اليهود إلى فلسطين - لكنه - بالنسبة لليهود المقيمين في فلسطين - آصدر عام ١٨٨٩م فرمانا يمنع فيه التعرض للأماكن التي يؤدى فيها اليهود طقوسهم أثناء الزيارة ، وهو ما يعنى التسامح مع اليهود الذين يتمتعون بالجنسية العثمانية .

وتذكر المصادر اليهودية أن اليهود اعتادوا الذهاب للحائط بعد خرابه للمرة الثانية والوقوف أمام أطلاله كما أنهم كانوا في القرنين العاشر والحادي عشر يذهبون إلى الحائط لإقامة شعائرهم الدينية خلال الحكم العربي ، وأنه في الدور الأخير من الاحتلال الصليبي للقدس كان اليهود يقيمون صلاتهم الدائمة عند الحائط ، فالمصادر اليهودية وحدها هي التي ذكرت ذلك ، وليس هناك أدلة أو شواهد على صدق قولها وهذا في حد ذاته أدعى لإثارة الشكوك في صدق دعواهم .

حائط المبكى المزعوم [1]

في ١٢ تشرين الثاني ١٣٢٧ هـ (١٩١١م) أعترض متولي أوقاف أبي مدين الغوث أن أفراد الطائفة اليهودية الذين جرت عادتهم بزيارة الحائط وقوفا أخذوا يجلبون معهم كراسي للجلوس عليها أثناء الزيارة ، وطلب متولي الأوقاف إيقاف هذه الحالة تجنبا لإدعاء اليهود في المستقبل بملكية المكان .

[1] المرجع السابق ، صفحة رقم ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧

.. فأصدر مجلس إدارة لواء القدس تعليمات تنظم زيارة اليـــهود للحائط ، وتمنع جلب أي مقاعد أو ستائر عند الحائط.

وبعد تصريح " بالفور " في ١٩١٧/١١/٢ الذي يعد بإقامة وطـن قومي لليهود في فلسطين ، أخذ اليهود يسعون إلى تثبيت حقوق واسعة لهـم في هذا المكان عن طريق تغيير الحالة الراهنة التي كان عليها الحـائط قبـل الحرب العالمية ،،،،،، حيث بدءوا تحركهم عام ١٩١٩م بما قدموه مـن عرائض رسميه ونشروه من مقالات ، ووصل الأمر إلى نشر صور لهيكـل يهودي جديد مكان مسجد الصخرة ونشر صور لهذا المسجد يعلوها العلم الصهيوني والكتابات العبرانية ، وأخذ اليهود يساومون على شراء المنطقـة الواسعة المحيطة بالحائط ، وعرضوا أرقاماً باهظة للشـراء .. وعندمـا تم الانتداب على فلسطين الذي صودق عليه من قبل عصبـة الأمـم في ٢٤ يوليو ١٩٢٢ تضمنت مواد الثمانية والعشرون عدداً من المـواد المتعلقـة بالأماكن المقدسة كان أهمها المادة الرابعة عشرة التي تنص على ما يلي :

" تؤلف الدولة المنتدبة لجنة خاصة لدرس وتحديد وتقرير الحقـوق والادعاءات المتعلقة بالأماكن المقدسة والحقـوق والادعـاءات المتعلقـة بالطوائف الدينية المختلفة في فلسطين ، وتعرض طريقة اختيار هذه اللجنـة وقوامها ووظائفها على مجلس عصبة الأمم لإقرارها ، ولا تعين اللجنـة ولا تقوم بوظائفها دون موافقة المجلس المذكور " ، لكن هذه اللجنة لم تعين إلا عام ١٩٣٠ م بعد أن أوصت لجنة التحقيق في أسباب انتفاضة البراق عـام ١٩٢٩م بسرعة تعيينـها .. وطـوال السـنوات ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ،

١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٨ كان هناك محاولات يهودية لجلب مقاعد عند الحائط لكن في عام ١٩٢٨ حاول اليهود استخدام خزانة ومصابيح وحصر وستائر للفصل بين الرجال والنساء ، وأرسل مفتي فلسطين رسائل إلى حاكم القدس ينبهه إلى تلك المخالفات ، وصدرت التعليمات من الإدارة المنتدبة في أكثر من موقف يمنع اليهود من جلب الكراسي أو الستائر إلى الحائط .

ولفترة تقرب من العام اعتبارا من سبتمبر ١٩٢٨ حتى أغسطس ١٩٢٩ الذي حدثت فيه انتفاضة البراق حدثت مشادات بين العرب واليهود في فلسطين وخارجها ، وشكلت لجنتان إحداهما عربية للدفاع عن البراق والأخرى يهودية للدفاع عن المبكى ، ودعت لجنة الدفاع عن البراق لعقد مؤتمر إسلامي في أول نوفمبر عام ١٩٢٨ حضره مندوبون عن فلسطين وسوريا وشرقي الأردن حيث احتج المؤتمر على أية محاولة ترمى إلى إحداث أي حق لليهود في مكان البراق الشريف ، وشكل المؤتمر جمعية عرفت باسم " جمعية الأماكن الإسلامية المقدسة" .

وصدر في الشهر نفسه كتاب أبيض من الحكومة البريطانية برقم ٣٢٢٩ مؤيداً المحافظة على الحالة الراهنة داعياً اليهود والمسلمين إلى عقد إتفاق فيما بينهم لتحديد حقوقهم وواجباهم في الأماكن المقدسة .. لكن الاتفاق الذي دعا إليه الكتاب الأبيض لم يحدث ، فطلبت الحكومة من الطرفين إبراز ما لديهما من مستندات ووثائق حتى تتمكن من الفصل في الموضوع فقدم المجلس الإسلامي ما لديه من مستندات مؤيدة لموقفه ، لكن

الجهة اليهودية المسئولة لم تقدم أية مستندات واكتفت بإرسال بحث فقهي عن الموضوع .

واستقر في أذهان المسلمين في ذلك الوقت أن اليهود يطمعون في الأماكن المقدسة وأنهم ينوون الاستيلاء على المسجد الأقصى .

وفى هذا الجو المتوتر صدرت قرارات المؤتمر الصهيوني السادس عشر الذي عقد في زيورخ من ٢٨ يوليو إلى ١١ أغسطس ١٩٢٩ والتي كان من أهمها المطالبةبفتح أبواب فلسطين على مصراعيها لليهود ، وبذل الجهود لحمل الحكومة البريطانية على سحب كتابها الأبيض لعام ١٩٢٨ الذي اعترف بحقوق المسلمين في الأماكن المقدسة كما عقد فور انتهاء المؤتمر الصهيوني أول اجتماع للوكالة اليهودية التي جمعت الصهاينة واليهود وتابعت لجنة الدفاع اليهودية عن المبكى نداءاتها لإثارة يهود العالم إلى أن يعاد إليهم حائط المبكى .

وأما من الجانب الإسلامي فلم تكن جمعية حراسة الأماكن المقدسة والأماكن الإسلامية المقدسة هادئة ، فقد كانت تصدر البيانات تباعاً وكان لكل من الجمعية واللجنة دور مهم في تصاعد هذه الأحداث حتى انفجار الانتفاضة في ١٥ أغسطس ١٩٢٩ وهو في التقويم العبري اليوم التاسع من شهر آب الذكرى السنوية لتدمير القدس بواسطة البابليين والرومان .

ورغم أن أهمية هذا اليوم كانت معروفة للحكومة ، ورغم التوتر الذي كان سائداً في فلسطين خلال الأشهر السابقة للانتفاضة ، فقد لوحظ أن كبار موظفي الحكومة وعلى رأسهم المندوب السامي في إجازات خارج

فلسطين وهو ما يثير الشكوك في تصرفات الإدارة البريطانية المنتدبة في فلسطين ومسئوليتها عن وصول الصدام المباشر إلى عنفوانه بين العرب واليهود .. وكانت انتفاضة البراق عام ١٩٢٩ أول انتفاضة تشمل معظم فلسطين واستمرت أسبوعين كاملين استعانت بريطانيا خلالها بقوات من القواعد البريطانية خارج فلسطين .

وخلال الشهر التالي للانتفاضة (أي سبتمبر ١٩٢٩) فكرت السلطة المنتدبة في تطبيق المبادئ التي وردت في الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٨ بشأن الحائط ، وأبلغت ذلك إلى رياسة الحاخامين في اليوم الأول من أكتوبر ١٩٢٩ ، ونصت هذه التعليمات على أن لليهود حق السلوك إلى الحائط لإقامة شعائر العبادة في جميع الأوقات وحددت بصورة قاطعة أدوات العبادة التي يسمح لليهود بجلبها إلى الحائط ، وحظر عليهم جلب المقاعد أو الكراسي .

ونتيجة للضغوط اليهودية أصدرت الحكومة البريطانية بياناً جديداً في أكتوبر ١٩٢٩ يتضمن تراجعا عما جاء في كتابها الأبيض . لكن تهديد العرب بالإضراب العام جعل الحكومة تجمد الوضع على ما هو عليه حتى يعاد تنظيم قوة الشرطة ويتم حماية المستعمرات اليهودية المكشوفة .

وهكذا شغل موضوع الحائط فلسطين والحكومة المنتدبة عامي ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ وبدلا من أن تدرس اللجنة التنفيذية العربية – التي كانت تقود الحركة الوطنية في فلسطين في ذلك الوقت – الوسائل الكفيلة بتدعيم الكفاح الوطني أو دراسة الطرق العلمية لمواجهة الموقف نراها

تدرس في اجتماعها يومي ١٢ ، ١٣ أكتوبر ١٩٢٩ اقتراحا بإغلاق المساجد والكنائس احتجاجا على التعليمات الجديدة بشأن الحائط وتأليف وفد لزيارة البراق الشريف ليقطع عهداً بالمحافظة عليه ، كما أرسلت اللجنة برقية إلى الملوك والزعماء العرب تستصرخهم فيها تأييدها لمقاومة العدوان اليهودي واستنكاره والاحتجاج على السياسة المعادية للمصالح العربية ، لكن الاستغاثة لم تجد لها أي صدي .

لكن اللجنة التنفيذية اتخذت بعد ذلك بأسبوعين قرارات أكثر جرأة ، ففي ٢٧ أكتوبر ١٩٢٩ وخلال مؤتمر عام حضرته وفود من سوريا ولبنان وشرقي الأردن كان من قراراتها المحافظة علي الأراضي وتنشيط المصانع والمتاجر الوطنية والتعهد بالاستمرار في مقاطعة اليهود إلي النهاية والمطالبة بحق الشعب في مراقبة أمواله وطرق انفاقها إذا أريد أن يستمر في دفع الضرائب .. لكن اللجنة لم تتابع تنفيذ تلك القرارات خلال المرحلة التالية للانتفاضة .

لجنة دولية بالقدس :[1]

في ١٣ سبتمبر ١٩٢٩ عين وزير المستعمرات البريطاني لجنة عرفت باسم لجنة " شو" للتحقيق في الأسباب المباشرة للإنتفاضة ووضع التدابير لمنع تكرارها ، وكان من توصيات تلك اللجنة سرعة تعيين لجنة لتحديد الحقوق والإدعاءات بشأن الحائط التي أشار إليها صك الانتداب وتجنبا لحدوث انتفاضات أخري اقترحت الحكومة البريطانية علي مجلس

---

[1] عادل غنيم ، مرجع سابق ، ص ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠

عصبة الأمم تشكيل لجنة لهذا الغرض حيث وافق مجلس العصبـــة في ١٥ مايو ١٩٣٠ علي تشكيل لجنة برئاسة وزير الشئون الخارجية الســـابق في حكومة السويد رئيسا وعضوية نائب رئيس محكمة العدل في جنيف ورئيس محكمة التحكيم النمسوية الرومانية المختلطة ومن حاكم الساحل الشـــرقي لجزيرة سومطرة السابق وعضو برلمان هولندا ٠٠ وهي لجنة دولية محـــايدة وعلي أعلي مستوي قضائي وتحكيمي ٠٠ ووصلت اللجنة إلي القـــدس في ١٩ يونيه ١٩٣٠ حيث أقامت شهراً كاملا في فلسطين وكانت في كـــل يوم تعقد جلسة أو جلستين ماعدا يومي الجمعة والسبت باعتبارهما عطلـــة لدي المسلمين واليهود ٠

وفي أثناء الجلسات التي عقدتها اللجنة وعددها ثـــلاث وعشـــرون جلسة استمعت اللجنة إلي شهادة ٥٢ شاهداً من بينهم واحد وعشـــرون من اليهود وثلاثون من المسلمين وشاهد واحد بريطاني وقدم الطرفـــان إلي اللجنة خلال الجلسات واحداً وستين وثيقة منها خمس وثلاثون مقدمة مـــن اليهود وست وعشرون وثيقة مقدمة من المسلمين ٠

وجاءت الوفود من أنحاء العالم الإسلامي إلي القدس للدفـــاع عـــن القضية وإعلان تمسك المسلمين بملكية الحائط الغربي فقد سافر من مصـــر " أحمد زكي ومحمد علي علوبة ومحمد الغنيمي التفتازاني : ومن العــــراق " مزاحم الباجهجي " ومن لبنان " صلاح الدين بيهم " ومن إيران " مـــيرزا مهدي " ومن أفغانستان " السيد عبد الغفور " ومن أندونيسيا أبـــو بكـــر الأشعري وعبد القهار مذكر " ومن اهند " عبد الله بهائي والشـــيخ عبـــد

العلي " ومن بولونيا " مفتيها الدكتور يعقوب شنكوفتش " إضافة إلي عدد من الشخصيات الفلسطينية البارزة " عوني عبد الهادي وأمين التميمي وأمين عبد الهادي وجمال الحسيني ومحمد عزت دروزة وراغب الدجاني والشيخ حسن أبو السعود " إضافة إلي شخصيات أخري من الجزائر وطرابلس والمغرب وسوريا وشرقي الأردن .

هذه الوفود تأكيد الدفاع المشترك عن الآثار والتراب الإسلامي واستطاعت وفود العالم الإسلامي أن تثبت أن جميع المنطقة التي تحيط بالجدار وقف إسلامي بموجب وثائق وسجلات المحكمة الشرعية وأن نصوص القرآن الكريم وتعاليم الإسلام صريحة بقدسية المكان عند المسلمين وبالتالي .. فإن زيارة اليهود للحائط منحة محددة بموجب أوامر الدولة العثمانية ولم تكن إلا زيارة مجردة لا صوت فيها ولا إزعاج ولا أدوات جلوس أو ستائر .

فبعد أكثر من خمسة أشهر من بدء جلسات اللجنة الدولية في القدس وبعد أن استمعت إلي ممثلي العرب واليهود واطلعت علي كل الوثائق التي تقدم بها الطرفان وزارت كل الأماكن المقدسة في فلسطين عقدت اللجنة جلستها الختامية في باريس من ٢٨ نوفمبر إلي ١ ديسمبر ١٩٣٠ حيث انتهت اللجنة بالإجماع إلي قرارها الذي استهلته بالفقرة التالية : " للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف وللمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط

وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير "

إن أدوات العبادة وغيرها من الأدوات التي يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط ـ إما بالإستناد إلي أحكام هذا القرار أو بالاتفاق بين الفريقين ـ لا يجوز في حال من الأحوال أن تعتبر أو أن يكون من شأنها إنشاء أي حق عيني لليهود في الحائط أو في الرصيف المجاور له .. وتضمن القرار عدداً من النقاط الأخري أهمها منع جلب المقاعد والسجاجيد والحصر والكراسي والستائر والحواجز والخيام وعدم السماح لليهود بنفخ البوق قرب الحائط وقد وضعت أحكام هذا الأمر موضع التنفيذ اعتبارا من ٨ يونية ١٩٣١ وأصدرت الحكومة البريطانية كتابا أبيض عن الموضوع اعترف بملكية المسلمين للمكان وتصرفهم فيه .. وقد حمل كل من الحكم الدولي والكتاب الأبيض اليهود علي التزام حدودهم .. ولم يلبث صوت اليهود أن خفت وحماستهم أن فترت ظاهريا بالنسبة لموضوع الحائط .. كما أصدر ملك بريطانيا علي أساس ذلك المرسوم الملكي المعروف باسم مرسوم الحائط الغربي لسنة ١٩٣١ الذي نشر في الجريدة الرسمية لفلسطين

ويمكن أن تتخذ قضية النزاع حول الحائط صورة من النزاع الأكبر علي ملكية فلسطين إذ أن اليهود يطالبون بهذه البلاد لتجديد مملكتهم القديمة فيها (مملكة سليمان) ويبنون حقوقهم في مشروع الوطن القومي علي هذه الحجة وهذا الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف هو في اعتقادهم جزء من هيكل سليمان الذي كان أقدس آثار تلك المملكة

بالطبع .. فإذا كانوا قد خسروا دعواهم باعتبار أن الملكيات القديمة لا تلغي ملكية جديدة مشروعة مكتسبة بالحق وبالطرق القانونيه ومر عليها مئات السنين فلا شك في بطلان دعواهم لاستعادة امتلاك البلاد من الناحية القانونية .. وإذا كان هذا الحكم الدولي الصادر من لجنة محايدة شكلت علي أعلي المستويات التحكيمية في العالم يكفي من الناحية القانونية كي يقال أن الحائط الغربي للمسجد الأقصي هو حائط البراق وليس حائط المبكي .

الأدلة علي أن الحائط الغربي هو حائط البراق وليس حائط المبكي :

أولا : تذكر لجنة التحكيم الدولية في تقريرها أن الحجارة الضخمة الكبيرة الكائنة في أسفل الحائط وعلي الأخص المداميك الستة المنحوته يرجع عهدها حسب رأي أغلب علماء الآثار إلي زمن الهيكل الثاني الذي أعيد بناؤه وأنه يعلوها ثلاثة مداميك من الحجارة غير المنحوته يرجح أنها من بقايا العصر الروماني ويعني ما ذكرته اللجنة اعتماداً علي علماء الآثار أنه ليس هناك في الحائط الغربي للحرم الشريف أي أثر أو حجارة من بقايا هيكل سليمان .

ثانيا : عالم أمريكي كبير كان مديراً لهيئة المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية في القدس ورئيسا لعدة بعثات أثرية في فلسطين والأقطار المجاورة وعضوا في عدة أكاديميات عالمية يؤكد أن أبنية هيرودس في أورشليم ـــ وهو الذي أعاد بناء الهيكل للمرة الثانية ـــ قد محت

محواً تاماً كل أثر للمباني السابقة لها لدرجة لم يستطع معها الأثريـــون العثور علي أية معالم مؤكدة من هيكل سليمان ٠

ويضيف هذا العالم الأمريكي أنه من المؤكد أن هيكـــل ســليمان لم يصمم ليكون مركزاً لحج حشود من الناس وأنه لم يكن هنــاك ثمــة داع في عهد سليمان لإقامة مبني ضخم كما كان الحـــال في عــهد هيرودس وأن بنائي هيرودس قد نزلوا حتي الصخر الطبيعي ليكــون لهم الأساس الذي يتحمل ثقلا جباراً

ثالثا : فشل محاولات سلطات الاحتلال الاسرائيلية حتي الآن في العثـــور علي أية شواهد تقودهم إلي الإدعاء باحتمالات وجــود أساســيات هيكل سليمان أسفل الحرم الشريف وساحاته رغم محاولاتهم المضنيــة منذ عام ١٩٦٧ ٠

الممارسات الإسرائيلية :

فلم يكد يمر أربعة أيام علي احتلال الجيش الإســرائيلي القــدس الشرقية في ٧ يونية ١٩٦٧ حتي بدءوا تنفيذ مخططاتهم بــالاعتداء علــي المقدسات الإسلامية وتهويدها مبتدئين بهدم حي المغاربة حيث فوجئ أهلــه فجر ١١ يونيه ١٩٦٧ بجرافات الجيش الإسرائيلي تزحف عليهم وتهــدم عقاراتهم واحداً بعد آخر ولم ينقض النهار إلا و١٣٥ مــنزلاً ومســجدين صغيرين من بينهما مسجد البراق أصبحت اطلالاً وتم تمهيد الأرض لتضــم إلي ساحة البراق الشريف ٠٠ كما قامت إسرائيل بضم القدس الشرقية إلي القدس الغربية في مدينة موحدة مخالفة كل القوانين والقــرارات الدوليــة

ومتحدية للأمم المتحدة وقراراتها ومستهينة بكل مبادئ الشرعية الدوليـــة، ولقد نفذ الإسرائيليون الكثير من خططهم تجاه القدس والمسجد الأقصـــي ، فقد تم توسيع نطاق القدس ليشمل مناطق عديـــدة مـــن الأرض المحتلـــة وأنشئت أحياء سكنية كاملة يقطنها آلاف من اليهود أحيطت بعديد مـــن المستعمرات والطرق الدائرية لحمايتها وتم هدم مئات من المنازل بموجـــب قانون الغائبين وفتحت أبواب الهجرة اليهودية إلي القدس علي مصراعيـــها حتي أصبحت غالبية سكانها من اليهود .

أما بالنسبة للمسجد الأقصي فمنذ احتلالها للقدس الشرقية قـــامت إسرائيل بحفريات عديدة تحت المسجد الأقصي وصلت إلي أساسياته بحثـــا عن بقايا هيكل سليمان دون أن يجدوا شيئا غير الآثـــار العربيـــة لكنـــهم استمراراً في عمليات الخداع للرأي العام اليهودي وللسائحين أقاموا حديقة تكنولوجية تعرض أفلاما تم إعدادها بأجهزة الكمبيوتر تزعـــم أن بقايـــا هيكل سليمان أسفل المسجد الأقصي .

ومن ناحية أخري فإن محاولات اليهود لاقتحام المسجد الأقصـــي مستمرة منذ عام ١٩٦٧ م وقد قام بعض متطرفيهم يساندهم علماء الدين وأعضاء الكنيست باقتحام الحرم القدسي عدة مرات سواء قبـــل حريـــق المسجد الأقصي في أغسطس ١٩٦٩م أو بعده كما حاول بعضهم تفجـــير المسجد الأقصي . . وكان آخر تلك المحاولات ما فعله شـــارون مؤخـــرا بالمسجد الأقصي في ٢٨ سبتمبر عام ٢٠٠٠ والتي ترتب عليها انتفاضـــه الأقصي .

رابعا : أن اليهود لم يدعوا أمام اللجنة الدولية بملكية الحائط ولا بملكية الرصيف الكائن أمامه لكن اللجنة هي التي رأت من واجبها التحقيق في مسألة الملكية من الناحية القانونية .. إن كل ما طالب به ممثلو اليهود أمام اللجنة هو اعطائهم الحق في الدعاء أمام الحائط وحقهم في السلوك إليه وفقا لطقوسهم وشعائرهم الدينية دون مداخلة أو ممانعة وأن يكون من حق رئاستهم الدينية في فلسطين وضع أي أنظمة ضرورية للقيام بهذه التضرعات والصلوات أي أن اليهود أنفسهم لم يدعوا قانوناً بملكية الحائط فكيف نردد نحن العرب والمسلمين عبارة حائط المبكي ؟ !

خامسا : بالرجوع إلي وثيقتين أساسيتين معاصرتين عن الحركة الصهيونية لم يرد بهما كلمة واحدة عن حائط المبكي :

(أ) الوثيقة الأولي هي كتاب " الدولة اليهودية " لثيودور هرتسل مؤسس الحركة الصهيونية الذي يتحدث فيه بالتفصيل عن الدولة اليهودية المرتقبة .. فقد تحدث هرتسل عن كثير من النقاط المتعلقة بإنشاء الدولة كبيرها وصغيرها مثل اللغة والدستور والقوانين والجيش والعلم وإنشاء جمعية يهودية وتشكيل شركة يهودية وشراء الأراضي ومساكن العمال والتجارة وإنشاء الصناعات وتخطيط المدن وغيرها من النقاط لكنه لم يذكر كلمة واحدة عن الحائط .. كما أن إشارات هرتسل في كتابه إلي أرض الميعاد لم يكن مقصوداً فلسطين

بالذات وإنما كان المقصود نلك الأرض التي سيهاجرون إليها ســـواء كانت فلسطين أو الأرجنتين أو غيرها .

(ب)الوثيقة الثانية فهي نص ما يتعلق بفلسطين والصهيونيـــة في تقريـــر اللجنة الأمريكية (لجنة كنج كرين) المؤرخ ٢٨ أغســطس ١٩١٩ وهي اللجنة التي أرسلتها الحكومة الأمريكية للتعرف علـــي حقـــائق الأمور في المشرق العربي قبل اتخاذ قرار بشأن مستقبل المنطقة .. وقد استمعت اللجنة إلي مطالب المسلمين واليهود حيث تحـــدث اليـــهود بشكل مفصل عن برنامجهم الصهيوني ، وقد وردت فقرتان في تقريـــر اللجنة تنص الفقرة الأولي علي الآتـــي :

" ومن المستحيل أن يرضي المسلمون والمسيحيون بوضـــع الأمـــاكن المقدسة تحت رعاية اليهود مهما حسنت مقاصد هؤلاء "

الفقرة الثانية تقول : " ولما كانت هذه الأماكن كلها مقدسيات ومحترمة من المسلمين كانت وصايتهم عليها فيما مضي أمراً طبيعيا .. "

سادسا : حول استخدام عبارة " حائط المبكي " أن اليهود لا يســتخدمون في مراجعهم هذه العبارة وإنما يستخدمون عبارة الحـــائط الغـــربي " هاكوتيل همعرافي " باعتبارها أكثر دلالة من " حائط المبكي " لأنها تعني بالنسبة لهم أن جزءاً من الحائط هو بقايا هيكلهم .. وبمرور الســـنين استخدم اليهود ذلك الجزء من السور " مكاناً للصلاة بحكـــم قربـــه للهيكل وأصبح مقدساً بالنسبة لهم مع ذكر مجد إسرائيل من جهة وذكـــر خراب الهيكل من ناحية أخري .

كما أن القاموس العربي العبري الـذي أصدرته وزارة الدفاع الإسرائيلية عام ١٩٩٧ م (الطبعة الخامسة) قد كتب أمام العبارة العبرية " كوتيل هدما عوت " عبارة " حائط الدموع " باللغة العربية ولم يستخدم القاموس عبارة " حائط المبكي " فإذا كانت اللجنة الدولية قد أصدرت حكما بملكية المسلمين للحائط .. وإذا كان معظم علماء الآثار قد أكدوا أنه ليس هناك في الحائط الغربي للحرم الشريف أية آثار أو حجارة من بقايا هيكل سليمان .. وإذا كان اليهود لم يدعوا أمام اللجنة الدولية بملكيتهم للحائط .. وإذا كانت بعض الوثائق اليهودية أو الأمريكية الهامة لم تشر بكلمة واحدة إلي حائط المبكي ، وإذا كان أساتذة العبريات يؤكدون أن اليهود لا يستخدمون في مراجعهم المعاصرة عبارة " حائط المبكي " بل يسمونه " الحائط الغربي " فمن أين يردد الإعلام العربي عبارة " حائط المبكي" إن العبارة " حائط المبكي " لم يكن لها استخداما إلا قبيل انتفاضة البراق عام ١٩٢٩ وخلالها بواسطة البيانات التي كانت تذيعها " لجنة الدفاع اليهودية عن المبكي " (٦٩) ثم توقف استخدام تلك العبارة بعد انتهاء انتفاضة البراق وصدور حكم اللجنة الدولية بملكية المسلمين للحائط ولم تستخدم هذه الكلمة منذ انتفاضة البراق حتي النكسة عام ١٩٦٧ حيث شاع منذ ذلك الحين استخدام هذه العبارة حتي الآن فما مصدر هذا الاستخدام ؟

يعتقد أن مخططي الإعلام الغربي والصهيوني قد نجحوا في إدخال مثل هذه العبارات إلي عقولنا وألسنتنا عن طريق ما ترسله وكالات الأنباء

من آخبار وصور .. كما أن استخدام هذه العبارات علي لســـان بعـــض الكتاب العرب الذين زاروا القدس والحائط منذ أواخر الســـبعينيات قـــد ساعد علي إشاعة العبارة بين الرأي العام العربي .

إن القضية ليست مجرد شكليات أو ألفاظ عابرة لكنها أعمق مـــن ذلك بكثير .

إن اهتمام اليهود بهذا الحائط ـــ بغض النظر عن التسمية التي تطلق عليه ـــ ليس سوي ذريعة لتدعيم حقوقهم ومزاعمـــــهم وغطـــاء دينيـــا لاغتصاب القدس العربية ومبرراً لاستثارة مشاعر اليهود وعواطفهم .

وختاما .. فإن جميع الأدلة تؤكد أن الحـــائط الغـــربي للحـــرم القدسي الشريف هو حائط البراق وليس حائط المبكي .

الفصل الخامس

** ماذا عن تل أبيب

- تجنيـــد المــرأة

- يوم الســـــبت عند الإسرائيليين

- الطلاق علي الطريقـــة اليهودية

- الأعياد اليهـــــودية

- يـــــوم كيبـــــور

- الكيبـــوتس .. والموشـــاف

- إســـــرائيل البداية والنهـــاية



ماذا عن تل أبيب*
أوتـــل أفيـــف

المسافة بين القاهرة وتل أبيب لا تزيد علي خمسمائة كيلو متر تقطعـها الطائرة في ساعة زمن ٠٠ والسيارة في سبع ساعات لكن المسافة شاسـعة بين المصري والاسرائيلي فالذكريات كالنار ٠٠ فلا يزال صوت تلاميـذ مدرسة بحر البقر يتردد في الآذان بعد اغتيالهم بالقنابل الاسرائيلية في محافظة الشرقية في حرب الاستنزاف وممارسات كثيرة غير إنسانية ٠٠ إنهـا تـل أبيب أوتل أفيف كما ينطقونها ٠

إن اليهودي الذي صورته الأفلام حاد الأنــف ٠٠ البخيــل ٠٠ الأخنف ٠٠ ولكن يوجد أيضا يهودا أوروبيين وسوفييت علي قدر مـن الأناقة والكرم ٠

أي أن الشعب ليس له جنسية واحدة أو تاريخ واحد أو لغة واحدة بـل أن الاسرائيليين يتكلمون ستين لغة ويحملون سبعين جنسية ويوجـد في نفـس الوقت طوائف دينية مازالت تحرص علي هدف واحد هو كراهية العرب ٠

الكنيست أرقي دار في اسرائيل ٠٠ الكنيس دار العبادة التي يعبد فيـها اليهود إلههم الواحد المقدس وعند الحائط الغربي الذي يزعمون أنه حائط المبكي يكتبون عنده رسائل إلي الرب ثم يضعونها بين شقوق الحائط ٠

---

* محمد رجب ، بنات إسرائيل ص ص ٩ ، ٢٦ ــ ١٩٩٨ مكتبة مدبولي الصغير ، القاهرة

والمهاجرون الذين يرغبون في الحصول علي شهادة تحولهم إلي الديانة اليهودية فإن الرجل عليه أن يخلع ملابسه الداخلية ليتأكد الحاخامات من أنه أجرى عملية الختان والمرأة تنزل إلي الحمام المقدس حتى تغمر المياه جسدها ثم يجرى حوار بينها وبين الحاخامات الواقفين في مكان علوي في مواجهة المغطس .. يوجد بإسرائيل صهاينة ليسوا يهودا .. ويهودا ليسوا صهاينة ويهود ليسوا إسرائيليين .. وإسرائيليين ليسوا يهودا.. بل بعضهم مسلم والآخر مسيحي كل ما في الأمر أنهم حصلوا علي الجنسية الإسرائيلية .

إسرائيل :

إسرائيل كلمة عبرية وليست عربية .. ومعناها في العبرية يختلف عنه في العربية .. فهي في العبرية مكونة من جزئين :

الأول : " إسرا " ومعناه " صارع "

والثاني : " إيل " ومعناها " الرب "

فهي في العبرية تعني " صارع الرب " والمقصود هنا سيدنا يعقوب عليه السلام .. ويحكي العهد القديم والكتاب اليهودي المقدس أن الرب تجسد في شكل رجل وراح يصارع يعقوب وتمكن يعقوب من الصمود أمام الرب مدة طويلة فأطلق عليه الإله هذا الاسم " إسرائيل"

وفي اللغة العربية .. أو بمعني أدق عند العرب يقول تفسير القرطبي:

" إن الجزء الأول من الكلمة وهو " إسرا " يعـــني " عبـــد " ٠٠ والجزء الثاني وهو " إيل " يعني الإله ٠٠ وبالتالي يكون معني الكلمة " عبد الإله " ٠٠ أي أن الكلمة وصف لعبودية ســـيدنا يعقــوب لله ســبحانه وتعالي٠

تجنيـــــد المـــرأة :

" تقول الأرقام الرسمية إن ٦٠٪ من بنات إســـرائيل مطلوبـــات للتجنيد الإجباري و٧٠٪ من المجندات يمارسن الجنس أثناء فترة تجنيدهـن و٥٠٪ منهم يستخدمن وسائل منع الحمل وبين كل مائة فتاة مجندة فتـــاة واحدة فقط – لم تمارس الجنس من قبل مثل بقية زميلاتها ٠٠ بل لم يعـــد غريبا أن تكون الفتيات حوامل في صفوف جيش الدفاع الإسرائيلي "

ففي رسالة دكتوراه تقدمت بها إلى جامعة تل أبيب الدكتورة " ميلو بيستى " عن المجندات داخل الجيش الإســـرائيلي ثبـــت أن ٦٧٪ مـــن المجندات اليهوديات كانت لهن علاقات جنسية كاملة أثناء فترة تجنيدهـــن ٠٠ وأن ٧٠٪ من المجندات يشربن الخمور والكحوليات أثنـــاء فـــترة التجنيد كما يتناولن أكثر من عشرين سيجارة فى اليوم ٠٠ لهذا تجد الفتـــاه الإسرائيلية نفسها فى مأزق حرج إذا وصل عمرها إلى العام الثامن عشـــر وأصبحت مطلوبة رسميا للتجنيد ولا بديل أمامها غير أن تكون قد تزوجت قبل بلوغها هذه السن من أحد تلاميذ مدارس الكوليل" أو حكم المحكمـــة فالخيار الأخير لنجاة الفتيات الاسرائيليات من التجنيد هو حكم المحكمـــة وهناك نوعان من المدارس الدينية فى إسرائيل يطلق على تلاميذها " أبنـــاء

التوراة " مدارس " الياشفاه " وهذه يبدأ الالتحاق بها منذ الطفولة المبكرة يقضي فيها التلاميذ ساعات طوال يوما بعد يوم فى تعلم التلمود والتوراه

أما مدارس " الكوليل " فهي التي يلتحق بها خريجوا " الياشفاه" بعد زواجهم ويظل بها الشاب المتزوج إلى أن يتخرج حاخاما أو محاضرا فى الياشفاه وتدعمها الدولة بشدة وتأتيها المعونات من كل الطوائف اليهودية الأصولية فى العالم . • عموما يتقاضى طالب الكوليل راتبا ضنيلا لكنه بحكم القانون يحصل على إعفاء رسمي من التجنيد وإن كان يؤدى فى وقت متقدم خدمة رمزية بالتجنيد لا تزيد مدتها على أربعة شهور وفى وحدات غير قتالية . • هذا الطالب المتزوج يحظى بقيمة دينية فى المجتمعات الدينية ويصبح حلما لأى فتاة متدينة أن تتزوج منه وكادت تحدث أزمة سياسية غير محمودة العواقب وتراجع المسئولون بوضع ضوابط لمسألة تجنيد المتدينات تبدأ هذه الضوابط بأن ترفع الفتاة دعوى أمام المحكمة المختصة تثبت فيها انتماءها إلى المجتمع المتدين وطقوسه منذ طفولتها بعدها يصدر الحكم بإعفاء الفتاة من التجنيد الإجبارى .

وهكذا تشعر تلك الفتاة أنها قد ولدت من جديد كما ان الأمل فى الزواج لم ينته تماما وتظل تنتظر عريسها الذى تحلم به من بين أبناء التوراه أو طلاب الكوليل .

أما المخرج الآخر لبنات إسرائيل المتدينات هو أداء الخدمة التطوعية لخريجى الجامعات المعفيين من التجنيد فالفتاة التى لا تخدم فى الجيش تخدم فى المجالات العامة لمدة عامين دون مرتب وهذا الحل رفضته

المتدينات المتشددات وقبلته المتدينات دون تطرف .. علما بأن طـــلاب الكوليل يفضلون أحيانا الفتاة التى أدت الخدمة العامة على الفتـــاة الـــتى أعفيت من الخدمة العسكرية بحكم المحكمة وحكمتهم فى هذا الاختيـــار أن الفتاة التى عملت من أجل إسرائيل دون مقابل ودون أن تحيطها الشـــبهات أفضل من الفتاة التى لم تقدم شيئا ما على الإطلاق .

وفى جرائد الصباح فى تل أبيب يستوقفك إعلان تقـــول صاحبـــة الإعلان فى سطوره : " أنا فتاة جميلة أعيش وحدى فى شقة مكونـــة مـــن ثلاث حجرات أريد شابا يشاركنى الحياة ويقتسم معى النفقات ومشـــاركة الحياة واقتسام النفقات تبدأ من إيجار الشقة وثمن الوجبة الغذائية وتنتهى إلى حجرة النوم.. صاحبة الاعلان ليست من المجتمع المتدين داخل إســـرائيل بل هى فتاة تعشق السهر تنفق كل اموالها على سهراها حتى لا تجد شـــيئا تدخره لدفع إيجار الشقة .

يوم السبت [1]

" يعتقد اليهود أن الله خلق الدنيا فى ستة أيام ثم اســـتراح فى اليـــوم السابع وهو يوم السبت .. كما يعتقدون فى الرواية التى تؤكد لهـم أن الله سبحانه وتعالى حينما تعطف على اليهود أثناء رحلة " التيه " فى صحـــراء سيناء وأنزل عليهم الطعام يوما بيوم كان الرب يمنحهم يوم الجمعة طعـــام يومين " الجمعة والسبت " لأنه فى اليوم التالى لن يترل عليهم طعامـــه لأن الرب سيكون فى يوم الراحة المقدسة .

---

[1] المرجع السابق ، ص ٢٩ ، ص ٣٦

ويعتقدون أن الله أنزل الوصايا العشر على موسى يوم السبت ولهذا جعلوه يوم راحتهم المقدسة ممنوع فيه استخدام الكهرباء أو إشعال النار أو كتابة الرسائل او الاستماع للراديو أو مشاهدة التليفزيون أو الخروج من البيت أو حمل أشياء فى الطريق والميادين العامة أو تدخين السجائر .

ويبدأ يوم السبت فى الديانة اليهودية من غروب شمس الجمعة إلى غروب شمس السبت وما بين الغروبين تتحول دولة اليهود إلى دولة خاصة جدا .. وفي يوم السبت تخلو الشوارع من المارة .. وممنوع الحروب الهجومية ولذلك معظم الحروب ضد اليهود يوم السبت ولهذا أطلقوا على جيشهم أسم جيش الدفاع .. لكن ما هو المباح إذن يوم السبت ؟

طالما أن يوم السبت أو " الشابات " كما يسمونه بالعبرية يبدأ من غروب شمس الجمعة إلى غروب شمس السبت فإن الطقوس الدينية شأنها شأن المحظورات الشرعية تبدأ مع غروب شمس الجمعة حيث تجتمع الأسرة على مائدة العشاء معا بعد إشعال شمعتين من وقت سابق على الغروب وفى بيوت المتدينين تقوم ربة المنزل بإعداد طعام السبت الشهير قبل غروب شمس الجمعة ايضا .. ففي اليوم التالى لا مجال لاشعال بوتوجاز أو استخدام كهرباء لطهى الطعام أو تسخينه .. ومن أشهى الأكلات الموروثة عن الأجداد اليهود ويتم إعدادها يوم الجمعة لتناولها فى غداء السبت طعام يسمونه " شولنت " ومعظم المتدينين يمتنعون أيضا عن شرب المياه يوم السبت لأنها تضخ بموتورات تستخدم الطاقة فى تشغيلها ولهذا يجهزون أوانى تملأ بالمياه طوال يوم الجمعة حتى يبتعدوا عن أية شبهة .

فى اليوم التالى . . يحلو لبعض المتدينين أيضا ارتـــداء الملابـــس الخاصة بهذا اليوم تتكون من قبعة فرو للرأس وقفطان أسود فضفـــاض ثم يقومون بتلاوة التوراه أو أداء ترانيم دينية ذات ألحان حزينة وهم يتنـاولون طعام السبت . . ولا مانع من الخروج من البيت إلى المعبد أو البقـــاء فى البيت بشرط الاسترخاء الوقور أو قراءة التوراه لكن هناك من غير المتدينين من يتجاهل الأفعال المطلوبة منه شرعا أن يبتعد عنها . أو تلك الواجـــب عليه القيام بها هؤلاء يذهبون إلى المدن العربية داخل إسرائيل خاصة القدس الشرقية وهناك يدخلون المطاعم ويركبون السيارات ويدخنون الســـجائر ويحملون الأشياء هناك يقومون بكل المحظورات بعيدا عن عيون المتدينــين لكن بين المتدينين من يتحايل أيضا على طقوس السبت .

ركوب المصاعد مثلا يتم من خلال مصاعد تم تجـــهيزها لتعمـــل بالاشعاع الحرارى فلا هى تحتاج ممن يستخدمها الضغط علـــى زر لفتـــح الباب أو آخر للصعود أو الهبوط بالمصعد .

فيكفى أن يدخل الشخص من الباب لينغلـــق " أوتوماتيكيـــا" ثم يصعـــد الأسانسير أو يهبط دون أى حركة ممن يقف بداخله ويتوقف كل طـابق أو طابقين حسبما تم تجهيز المصعد مسبقا للعمل بهذا الأسلوب .. يوم الســبت فقط . . وإذا كان حظر حمل أشياء أثناء الســير فى الميـــادين العامـــة أو الشارع يحرص عليه المتدينون فإن بعضهم وجد فرصة أخـــرى للتحـــايل بتحويل الميادين العامة إلى ميادين خاصة يوم السبت فقط .. أما الوســـيلة التى ابتكروها فغاية فى الغرابة ، وتعتمد على تثبيت فواصل أو أعمدة حول

هذا الميدان العام ثم ربطها دائريا بالأسلاك وبالتالى يصبح الميـــدان خاصـــا ويفقد عموميته وبالتالى لا يخضع لحظر حمل أشياء يوم الســـبت .. بـــل وصل البعض إلى أبعد من هذا في حالة الاضطرار للخروج من المنزل ومعــه مفاتيح الشقة التى أغلق بها الأبواب .. كيف يتصرف بينما ديانته تحرم عليه حمل أشياء خارج المنزل يوم السبت ؟

الحل ابتكره المتدينون وهو تخصيص مكان فى حزام البنطلون مثـــلا لوضع مفاتيح الأبواب وبالتالى لا يعتبر اليهودى نفسه حاملا لهذا الشيئ .. لكنه يرتديه .

لكن تبقى دائما قداسة يوم السبت والشعور بالرهبة تجاهه فى عيون وصدور اليهود المتدينين .

ويرتبط بيوم السبت طقس آخر فى إسرائيل يسمى بـــ " المـــــائدة الاحتفالية " أو "المائدة الكبرى " أو " المباركة " .

ففى المساء يذهب المتدينون إلى معابدهم حيث يخصص كل معبـــد مكانا خاصا بل قد يكون مبنى خاصا مستقلا بذاته للوجبة الاحتفاليــة .. فى هذا المكان يوجد مطبخ لإعداد طعام المائدة الذى ســـيقدم للموجوديـــن. ويوجد مكان خاص للحاخام ومكان آخر للمجموعة المخصصة للعـــزف وتلاوة الترانيم ..

يبدأ الاحتفال بصلاة يسمونها " الكيدوش" يقوم بها الحاخام علــى كأس نبيذ ويتلو خلالها نصا من التوراة لا يستغرق فى العادة غـــير دقيقـــة ونصف لكن الحاخام يتلوه فى حوالى الساعة وبحركات تمثيليـــة وانفعاليـــة

ينجذب معها معظم الحاضرين الذين يصل عددهم إلى المئات وأحيانا الآلاف أكثرهم حظا هو من يكون فى مكان قريب يتيح له رؤية الحاخام أو مصافحته .هذا المكان غالبا ما يكون تحت المائدة مما يسبب نوعا آخر من الزحام الشديد للتسابق فى الوصول إلى مكان قريب من المائدة أو تحتها بعد ذلك وحينما يفرغ الحاخام من صلاته يقوم بغسل يديه ثم تبدأ عملية المناولة بدخول مائدة الطعام وفوقها الخبز وشرائح السمك .. هنا يجلس الحاخام إلى المائدة وحده .. يقطع رغيفا ويمد يده إلى الطبق الكبير دون أدنى اهتمام بالحاضرين أحيانا يبدو منهمكا فى الطعام وكأن أحدا لا يجلس أو يقف حوله ..

وفجأة يتوقف عن الطعام ليبدأ فى توزيع الخبز الذى قام بتقطيعه مع شريحة السمك او جزء منها .. إنه يحمل قطعة الخبز والشريحة ليمنحها لأحد أعوانه الذى يسلمها لآخر باليد ثم تنتقل من يد إلى يد حتى تصل إلى الشخص الذى ينتظر دوره وسط التراتيل والأنغام الدينية بل يحرص البعض على ألا يأكل هذه " اللقمة " المباركة وحده فيحملها إلى منزله لتتناولها أسرته معه فتحل البركة على الجميع .. " ففى حادث مصرع أو أغتيال رئيس الوزراء إسحاق رابين ألقت الشرطة الاسرائيلية القبض على إحدى صديقات الشاب " إيجال عامير " المتهم بقتل رابين .. وقالت صديقة المتهم أنه كان بمقدورها أن تمنعه من هذه الجريمة لو أنها قابلته قبل الحادث لكنها كانت داخل منزلها فى يوم الراحة المقدس ولم تفتح التليفزيون إلا بعد

غروب شمس السبت وفى هذه اللحظات - فقط - عرفت أن صديقها قد قام بجريمته الكبرى " .

شارع ديزينجوف :

نحن نقول " تل أبيب " وهم ينطقونها بالعبرية " تل أفيف " والأفيف بالعبرية تعنى الربيع وقبل مائة عام لم يكن على خريطة العالم كله شئ ما اسمه "تل أبيب " فالمدينة هى أحدث المدن الإسرائيلية فهى مدينة مازالت فى طور " الطفولة " بالنسبة لمعظم مدن العالم العربي .

ففى مطلع القرن العشرين كان العالم لا يعرف غير ميناء " يافا " العربي الجميل وكانت "يافا" هي المدينة الفلسطينية التى تعيش على صدر البحر المتوسط ويسكنها الفلسطينيون وأعداد قليلة من اليهود تذوب وسط هذا الحشد العربي طيب القلب ويقال أن اسم " يافا " أطلق على هذا المكان نسبة إلى " يافث " أحد أبناء سيدنا نوح عليه السلام وذات يوم فكر يهودى يدعى "ديزنجوف " فى التروح بعيدا عن "يافا " إلى أحد المناطق المهجورة على حدود المدينة وكانت هذه هى عادة اليهود فى بلاد الشتات التى عاشوا فيها يتجمعون فى مكان خاص بهم يطلق عليه " الجيتو " أو " حارة اليهود " حيث يمارسون طقوسهم وعاداتهم بعيدا عن عيون سائر خلق الله .

واقتنعت بعض الأسر بفكرة " ديزنجوف " وانطلق الجميع نحو المنطقة المهجورة على الشاطئ بالقرب من حدود مدينة يافا الجميلة شكلوا هناك ما يشبه القرية الصغيرة أقاموا البيوت المتواضعة والأسواق الصغيرة ثم

بدأت العائلات اليهودية تهجر يافا إلى المكان الجديد الذى أطلـــق عليــه "ديزنجوف " اسم " تل أفيف" مع الوقت لم يقتصر هجرة اليهود من يافـــا فقط إلى تل أفيف بل زادت الهجرة من جميع انحاء العالم إلى القرية الصغــيرة التى راحت تتطور بسرعة وتتدفق عليها المساعدات المالية من أثرياء اليــهود فى العالم .

وفى أعقاب حرب ١٩٤٨ انتهز سكان تل أبيب الفرصة بعد هزيمة العرب وأخرجوا عرب يافا ثم أعلن اليهود قيام دولة إسرائيل واختاروا تــل أبيب عاصمة لها وهكذا تحولت يافا إلى ضاحية مــن ضواحــى العاصمــة اليهودية الجديدة .

يعيش ٤٠٠ ألف يهودى فى تل أبيب كانوا فى بدايات هذا القــرن ست عائلات فقط حينما كانت تل أبيب قرية صغيرة على يد " ديزنجوف " اصبحوا عام ١٩٤٨ عقب تأسيس الدولة الاســـرائيلية ٧٠ ألفـــا والآن يقتربون من نصف مليون يهودى .

ووجد اليهود أن الوفاء يقتضى عليهم إطلاق اسم "ديزنجـــوف " على أكبر شارع تجارى فى تل أبيب بينما اختفى كل أثر عربى سواء فى يافــا الأم أو تل أبيب الابنة المدللة للدولة اليهودية .

فى شاطئ يافا يوجد أشهر مطعم للأسماك يواجـــه شـــاطئ البحـــر مباشرة من لا يدخل هذا المطعم لا يعتبرونه قد زار يافا - إنه مطعم عـــربى يحمل اسم " أبو نصار " .. وبالقرب من المطعم مجموعة من المقابر تكـــاد تكون ملاصقة لشاطئ البحر وتبدو من النظرة الأولى أنها مقابر عربية .

هذه المقابر- بيضاء اللون - تضم رفات الآباء والأجداد العـــرب منذ عشرات السنين وبعد أن تمكن اليهود من تل أبيب وأخرجوا أهل يافـا لم يبق غير نفر قليل من العرب وهذه المجموعة المتراصة من المقـــابر ومـــع الوقت تراجع الشاطئ أمام زحف الأمواج التى وصلت إلى ضرب المقـــابر بعنف وتؤدى الأمواج المتلاطمة من المياه المالحة عبر السنين إلى تآكل عـــدد من المقابر المواجهة للشاطئ حتى بدأت بعض الجثث تظهر وتطفـــوا فـــوق المياه .

وفى تل أبيب محل كبير يبيع العرائس والأعضاء التناسلية للرجـــال التى تعمل بموتور صغير وتلقى إقبالا من النساء .. هذه المحلات لا نظير لها إلا فى تل أبيب .

غالبا ما تأخذ البيوت سيئة السمعة شكل أندية التدليك والمســاج وتضع هذه الأندية صورا للبنات فى أوضاع تهدف إلي الإغراء على زيـارة النادى لتدليك جسده وإزالة كل المتاعب والهموم هذا ما يقوله الإعـــلان لكن ما يحدث داخل هذه الأندية شئ آخر قد يبدأ بالمساج لكنـــه ينتـــهى ببائعات الهوي .

ونادرا ما تقوم اسرائيلية بهذا العمل فمعظم بائعات الهوى فى تـــل أبيب من المهاجرات من الاتحاد السوفيتى .. ولقد زادت نسبة البغاء مـــن النساء السوفيتيات بشكل جعل شاحال وزير الشرطة الإسرائيلية يـــهدد بسحب الجنسية منهن إذا تكرر ضبطهن فى شبكات الرقيق الأبيض الـــتى

دخلت عالم المافيا وأصبحت تجارة رائجة تشهدها تل أبيب وتشهد هى على تل أبيب .

وفى قلب تل أبيب يقف أحد المساجد القديمة شامخا .. إنه مسجد حسن بك والبعض يطلق عليه مسجد السلطان حسن عمرد عشرات السنين لكنه يبدو مهجورا والغريب أن أعمال الترميم الحديثة تبدو واضحة فى نصف المسجد بينما نصفه الآخر مازال على حاله منذ بنائه لا أحد يدخله ولا أحد يصلى فيه ولا يرتفع من مئذنته العملاقة صوت الآذان ربما لأنه لا عرب ولا مسلمين فى تل أبيب وربما لأسباب سياسية أخرى .

ويروي أن الرئيس " السادات " حينما زار إسرائيل لأول مرة وبينما كانت سيارته تمرق بالقرب من المسجد شاهده الرئيس المصرى وعلى الفور سأل " السادات " عن المسجد فقالوا له أن إسرائيل سوف تبدأ فى هدمه وعلى الفور بادر السادات بإعلان استيائه من هذا الخبر "لمناحم بيجين " رئيس الوزراء الاسرائيلى فى هذا الوقت ورغم كراهية اليهود الشديدة للاسلام إلا أن " بيجين " يعتذر عن نية هدم المسجد وبدهائه المعهود يبادر السادات بوضع الحكومة الاسرائيلية فى مأزق حينما يعلن عن تبرعه بمليون جنيه للبدء فورا فى ترميم المسجد وإحيائه .

وبالفعل بدأت أعمال الترميم لكن العمر لم يمهل الرئيس السادات مات بعد ثلاث سنوات فقط وتتوقف أعمال الترميم بموت السادات ويبقى المسجد وأعمال الترميم لم تكتمل وفى شوارع تل أبيب - أيضا - نساء يهوديات فى غاية الحشمة وآخريات عاريات كاسيات لكن تظل هؤلاء

العاريات أكثر حشمة من نساء الشواطئ التى لا سلطان للمتطرفين عليها فى تل أبيب ففى هذه الشواطئ تكاد أوراق التوت أن تتساقط من فوق الأجساد عارية الصدر .

وأخيرا تحولت المدينة الساحلية الجميلة إلى مدينة يتسابق إليها الأزواج مع عشيقاهم والزوجات مع عشاقهن .

فالدين والجنس فى حالة صراع دائم لكن لا أحد ينكر سطوة الجنس وسلطانه حتى على الحاخامات أنفسهم لكنهم يطالبون أن تكون ممارساته من خلال العلاقات الشرعية وأن يكون الهدف منه بناء أسرة إلا أن هناك من يشككون فى الحاخامات ذاهم بل وصل الأمر إلى حد اهامهم من أحد الأحزاب اليسارية بأهم من رواد المواخير الليلية .

والأغرب أن يصدر هذا الاهام ضد الحاخامات ورجال الدين اليهودى داخل الكنيست نفسه وتنشره الصحف الاسرائيلية .

ليلة الزفاف تحلق العروس شعرها .. ويبكى كل الحاضرين فى حفل الزفاف وهم يكسرون الزجاجات والأكواب ويحملون المناديل لتجفيف دموعهم ..

إها تعاليم اليهودية التى تذكر كل يهودى فى المناسبات السعيدة بأن تدمير هيكل سليمان يستحق منه أن يحزن ويتألم . "

تحلق العروس شعرها - عالزيرو - فى أجمل ليالى عمرها تبدو صلعاء لكنها لا تخرج إلى الحفل إلا بعد وضع باروكة أو قبعة أو إيشارب قاتم .

السبب أن رجال الدين يؤكدون فى تعاليمهم أن شعر المرأة عـــورة ومن عنده تبدأ وسوسه الشيطان للرجال وطالما اختارت المرأة شريك حياها فلن تطيل شعرها بعد حفل زفافها . وبعض الحاخامات المتشددين يرفضـون فكرة ارتداء الباروكة بعد حلق شعر المرأة باعتبـــار أن " الباروكـــة " فى حقيقتها نوع من التحايل فهى شعر امرأة كل ما فى الأمر أنه مستعار لكنــه قد يحقق نفس المحظور فيلفت انتباه الرجال .

ووسط الفرحة العارمة تأتي فجأة لحظة الحزن ترتفع الأيدى تكســر الأكواب وقمشم الزجاجات ثم يرتفع النحيب والبكاء ويمســـك الجميــع بالمناديل ليجففوا دموعهم ويعضون بأسنافم عليها حسرة وندما .

فالتعاليم الدينية تحثهم أن يتذكروا مآساقم كلما عاشـــوا مناســبة سعيدة لابد من تكسير الأشياء ليتذكروا الهيكل المقدس الـــــذى حطمــه البابليون هيكل سليمان الذى يمثل المجد الضائع من شعب اليهود .

وكما أفار الهيكل وقمشم المعبد فلا مانع من أن تتكسر الأشـياء فى المناسبات السعيدة حتى يتذكر اليهود دائما مأساة معبدهم .

يذهب الحاخام أيضا إلى مترل الزوجية الجديد حيث يمسك فى يـده بآله حادة يضرب بها حائط المترل حيث يحدث شرخا فى الجدار والحكمــة أن يتذكر الأبوان والأبناء مدى حياقم ما أصاب حائط المبكـــى الجــدار الوحيد الذى يزعمون أنه الباقى بعد تدمير هيكل سليمان وطالما كــانت فى الحائط شروخ فيجب أن تكون الحوائط اليهودية مشروخة لتظل حكايـــة حائط المبكى داخل القلوب والعيون معا .

خمسون زوجة يهودية تطلب الطلاق كل يوم فى إسرائيل وأسرع وسيلة للحصول على الطلاق أمام الحاكم هو شريط فيديو يصور الزوج وعشيقته فى وضع الزنا لكن الطلاق لن يتم بحكم المحكمة وحده لابد أن ينطق به الزوج ليكون طلاقا شرعيا وتكتب وثيقته بريشة طائر فوق ورق برشمان فإذا رفض الزوج النطق بالطلاق وضعوه داخل السجن حتى يعود إليه صوابه وبسبب هذا القانون قضى أحد الأزواج ٣٥ عاما فى السجن لأنه رفض أن ينطق أمام زوجته بكلمتين : أنت طالق ".

لكن شريط فيديو فاضح هو كلمة السر للحصول على الطلاق فى إسرائيل فليس غريبا أن تنعقد المحكمة الدينية المختصة بنظر دعاوى الطلاق والأحوال الشخصية ويكون أمامها شاشة عرض وجهاز فيديو بداخله شريط مثير يحكى قصة خيانة الزوج الذى تطلب زوجته الانفصال عنه .

مثل هذا الزوج لن يمكنه الدفاع عن نفسه أمام المحكمة ولن يجرؤ على الطعن فى حكم الطلاق لكن فى حالات أخرى سوف يكون هذا الشريط مقدما من الزوج نفسه وتلعب فيه الزوجة دور البطولة مع عشيقها فضحتهما الكاميرا السرية .

وشريط الفيديو الفاضح قد لا يكون هو الدليل الوحيد فى القضية بل تسانده مجموعة من الصور الفوتوغرافية التى تكون أكثر فضحا وإثارة . وهذا يعنى أن المحكمة لن تستغرق وقتا طويلا فى نظر الدعوى خاصة إذا كان شريط الفيديو والصور الفونوغرافية تساندهما مجموعة من المكالمات

التليفونية المسجلة لكن الصور وحدها او المكالمات وحدها لا تكفى لإدانة الزوج أو الزوجة الخائنة إلا أن المحكمة قد تعتمد عليها مع عدد آخر من الأدلة المشابهة لكن هذا يعنى أن القضية سوف تستغرق وقتا طويلا بينما معظم الزوجات أو الأزواج الراغبين فى الطلاق يستعجلن الوقت ويحلمن بالحكم مما دفع فى النهاية إلى إنشاء أكثر من ٢٥٠٠ مكتب تختص بمراقبة الأزواج الخائنين وتسجيل حكايات الخيانة على شرائط الفيديو أو الكاسيت أو التقاطها بكاميرات المصورين فى غفلة من العشاق وبالتالى أصبح الطلاق فى إسرائيل أغلى من الزواج وأصعب منه فالقانون الاسرائيلى يتطلب أسبابا محددة على سبيل الحصر للحكم بالطلاق أهمها الضعف الجنسى عند الأزواج ورفض المعاشرة الجنسية من الزوجات أو الخيانة الزوجية لأحد الزوجين .

كما يلزم القانون الإسرائيلي المدعى أو المدعية فى قضايا الطلاق بإثبات السبب بالأدلة الدامغة الأمر الذى لن تقدر عليه الزوجة بمفردها ولن يكون بمقدور الأزواج بسهولة من هنا كان اللجوء إلى المكاتب المتخصصة فى ضبط الخيانة الزوجية و سواء كان الزوج أو الزوجة يتحمل نفقات مطاردة المخبر السرى للزوج الخائن أو الزوجة الخائنة العميل يدفع أيضا نفقات السفر السري خلف الزوج .. وفى النهاية سوف يطالب مكتب التحريات عميله بآلاف الدولارات وسوف يدفع العميل حتى لو كلفه الأمر بيع كل ممتلكاته مثلما فعلت إحدى الزوجات من سكان تل أبيب لقد حاولت إصلاح شأن زوجها زير النساء أكثر من مرة

دون جدوى وذات ليلة بينما كان واقفا فى شرفة شقته المطلة على أحـــد ميادين تل أبيب في ساعة متأخرة من الليل جذبته الزوجة من قميصه وهـي تصرخ فيه أن يختصر المسافات ويطلقها دون فضائح لكن " زوجـــها " لم ينطق بكلمة واحدة كعادته ظل صامتا في برود راحت الزوجة الشابة تعـدد له خطاياه وهي تصرخ : " لقد فضحتني مع كل صديقاتي حتى جـــاراتي في هذه العمارة زاغت عيناك عليهن هل تريدني أن أنتحر وأترك لك الدنيا ؟!

هنا فقد أجابها " زوجها " قائلا : " . . . ولم لا يا حبيبتي ؟! "

لكن الزوجة الشابة لم تعلق عند هذا الحد . . . انســـحبت مـن الشرفة ، وقبل أن تختف عن أنظار زوجها همست بصوت مسموع :

- " . . . لن ينفع معك سوى " إيريك " أيها الوغد "

ثار الزوج يريد أن يعرف من يكون " إيريك " . . . لكن زوجتـه لم تدع له الفرصة دخلت حجرتها وأغلقتها عليها وبعد ايام فوجئ " الـزوج " أن زوجته باعت سيارتها بعد ايام أخرى اختفت مجوهراتها . . بل لم تعـد الزوجة ترتاد محلات الأزياء الراقية وأصبحت تكتفي بالفساتين والأحذيـة رخيصة الثمن كل هذا من أجل أن توفر نفقات " إيريك " هـذا المخـبر السري الذي فتح ملف خيانة زوجها في مكتب من مكاتب ضبط الخيانة في تل أبيب ! .

وفي النهاية بكي . . " الزوج " بشدة عندما أدرك أنه خسر كل شئ خسر زوجته والرهان معا ! ولن ينتهي الأمر بحكم الطلاق الذي تصـدره المحكمة ! سوف يكون باقيا لاتمام هذا الطلاق أن ينطق به الزوج بنفسـه

كما تأمر بذلك الشريعة اليهودية ! وخلال العام الواحد تنظـــر المحـــاكم الإسرائيلية أكثر من ١٥ ألف قضية طلاق ومعني ذلك أن حوالي خمســـين زوجة إسرائيلية يطلبن الطلاق أمام المحاكم مع طلعة كل نهار جديد! ..

لهذا لجأت مكاتب ضبط الخيانات إلي توفـــير عـــدد كبـــير مـــن الحسناوات للإيقاع بالأزواج ثم تسجيل لحظات الخيانة معهم .. أو عـــدد آخر من الشبان اصحاب الوسامة للإيقاع بالزوجات ثم اثبات خيانتـــهن بأيسر الطرق.. مثل هذه الخيانة " تفبركها " المكاتب باهظة الثمن وتصـــل فاتورتها أحيانا إلي مائة ألف دولار !

هذا هو اليهودى[1]

" يؤمن اليهودى بأن الله واحد لا شريك له .. لكنه حينما يصلـــى يقـــوم ويقعد يصرخ ويبكى يركع ويسجد .. ! حرام عليه أكل لحـــم الأرانـــب والجمال .. حلال له اغتصاب غير اليهودية وحرام عليه الزواج منـــها ولا تتطهر المرأة من الحيض إلا بالإنغماس فى الحمام المقدس .. ولا تتطهر بعـــد الولادة إلا بتقديم خروف وحمامة قربانا للرب.. ويحق لها طلب الطـــلاق فى حالة العجز الجنسى لزوجها .

ومن النصائح التى توجه للرجل نصيحه تقول :

" لا تمش بين خنزيرين أو كلبين أو امرأتين ! "

والله سبحانه وتعالى له ثلاثة أسماء عند اليهود :-

[1] المرجع السابق ص ٩١ ، ص ١٠٥ ، ص ١٦٤

- الأول هو اسم " ايلوهيم " ويقصد به رب العالمين .. أى رب اليـــهود وغير اليهود من خلق الله ..
- والاسم الثانى " يهوه" .. ويقابل فى الإسلام وصف " هو " ويعتقـــدون – كما جاء فى التوراه – أن الرب لم يعلن عن اسمه هذا لأى نبى مــــن أنبياء اليهود قبل موسى .. وأنه اختص به موسى وحده والغريــــب أن اليهود يحاولون عدم استخدام هذا الاسم ويرمزون له ببعض الحـــروف أمام غير اليهود حتى لا ينطق به أحدهم فيدنس الاسم المقدس !
- أما الاسم الثالث فهو "أدوناى " وهو اسم يعنى أن الله واحد لا شـريك له واستخدمه اليهود ليجتنبوا النطق بالاسم المقدس "يهود"

عادات وطقوس !

تعتقد المرأة اليهودية فى إسرائيل أنها إذا أرادت حمـــــلا ســـهلا .. وولادة ميسرة فعليها بتعليق أحجار الياقوت حول رقبتها فإذا ولدت طفلا ذكرا أقامت له وليمة كبرى ليلة أول جمعة بعد الولادة ويؤكل فى هــــذه الوليمة الحمص وفى اليوم الثامن على الولادة تقوم الأم بعمليـــــة الختـــان للمولود والختان فى إسرائيل لا يتم على يد جراح أو من خـــــلال عمليـــة جراحية داخل مستشفى أو عيادة وإنما له طقوس دينية مهيبة تتم داخـــــل المعبد ويقوم بعملية الختان أحد الكهان أو رجال الدين المخصصين لها !

والغريب آن كل يهودى لم تجر له عملية الختان يعد كافرا ومقطوعـــا من شعبه ولا يجوز له حضور الصلوات فى الأعياد كعيد الفصح ولا يجـــب أن يمثل أمام ربه .. ولا يأكل اليهود مع اللحم أى نوع من منتجـــــات

الألبان بل يجب أن يفصل بين النوعين مدة زمنية لا تقل عن ست ساعات فلا يحدث أبدا أن تجلس على مائدة طعام فى إسرائيل تضم بين محتوياقما لحما وجبنا .. أو شرائح لحم ولبنا هكذا تأمرهم التوراه !

الأعياد اليهودية :

الإسرائيليون في الأعياد ينفخون فى الأبواق ويصرخون ويتعالى ضجيجهم وقد أطلق العرب فى إسرائيل على أحد أعيادهم " عيد المسخرة " لما يحدث فيه من انفلات وتصرفات لا تمت للأديان بصلة !

والأعياد اليهودية بعضها له أصل دينى فى التوراة والتلمود وبعضها اخترعه اليهود فى مناسبات يعتزون بها .. ومن هذه الأعياد .

عيد الفطير :

مدة هذا العيد سبعة أيام تبدأ من اليوم الثالث لشهر ازار ويصنع فيه اليهود فطيرا من عجين بلا ملح ولم يتم تخميره .. ومناسبته كانت إعادة بناء الهيكل المقدس فى أورشليم "القدس" على يد الآشوريين .

وحينما قرروا وقتها الاحتفال بهذه المناسبة على مدار التاريخ تذكروا مناسبة خروجهم من مصر بكل ما فيها من آلام وأحزان ومعجزات لكن أبرز الأحداث التى لا تغيب عن ذاكرهم ليلة أخبرهم سيدنا موسى عليه السلام بضرورة الهرب معه من أرض مصر هو حدث صنع الغذاء الذي سيحتاجونه فى رحلة الهروب عبر صحراء سيناء كان الوقت ضيقا ولا متسع لصنع الفطير الذي يحبونه فالعجين يحتاج إلي وقت للتخمير إلا أنهم اختاروا طعاما يملأ المعدة دون إضاعة الوقت فى طعام جميل

المذاق يعرضهم لغضب الرب .. ضحوا بالخميرة وشراء الملــح وصنعــوا الفطير من الدقيق والماء فقط وظل هذا المذاق لفطيرهم يذكرهم بـــالهجرة من مصر لهذا حددوا سبعة أيام فى العام لتناول هذا الفطير إحياء لذكرتـــين هروب الأجداد من مصر وإعادة بناء الهيكل المقدس .. ويسمى هذا العيــد باللغة العبرية " حج همصوت " .

عيد الأنوار : (عيد التجديد)

يتم الاحتفال بهذا العيد يوم ٢٥ ديسمبر من كل عـــام وتســتمر الاحتفالات ثلاثة أيام أولها وأخرها عطلة وترجع مناسبته إلى ما قـــام بـــه الأجداد من تطهير للهيكل المقدس قبل ميلاد المسيح عليه السلام فقد قـــام "يهوذا المكابى " بإعداد تجديد المعبد وتطهير المذبح لذا يسمى هذا العيــد – ايضا – بعيد التجديد .

عيد الخمسين :

هذا العيد مدته يوم واحد .. تطبق فيه نفس قواعد يـــوم الســـبت وتسرى عليه نفس قيوده وسموه " عيد الخمسين " لأنـــه يقـــع فى اليـــوم الخمسين من اليوم الثانى لعيد الفصح ومناسبته نزول التوراة على موســـى عليه السلام فى سيناء فقد نزلت التوراة فى اليوم الخمسين لليـــوم التـــالى لمغادرهم مصر " موسى وشعبه " ومن تقاليد وطقوس هذا العيد الذى يقـــع فى اليوم السادس من شهر يونيو ذهاب الرجال إلى المعابد للمثـــول أمـــام الرب وشكره الرجال فقط ولا يسمح للرجل الذى لم يقم بعملية الختـــان لنفسه بحضور هذا الاحتفال .

كما تقدم القرابين للرب وهى كما جاءت فى المعتقدات اليهودية تقديم رغيفين من الخبز المعجون بالخميرة رمزا لحصاد القمح الذى يتم مع الاحتفال بهذا اليوم كما تذبح بقرة وخروف وسبعة حملان قربانا للرب .. يوضع جزء من دمائها على المذبح بيد الحاخام ويرش الحاخام باقى الدم على الحاضرين من الشعب اليهودى الذى يلتزم بتذكر الفقراء والأرامل واليتامى فى هذا اليوم .

عيد اليوبيل :

يأتى هذا العيد كل خمسين سنة بنظام دقيق جدا وهي من المعتقدات اليهودية التى تسمى العام الخمسين بسنة اليوبيل المقدسة وهى السنة التالية لتسع وأربعين عاما على النحو التالى :

- سبعة أيام سبت لسبع سنين × سبع مرات .. ويكون العام الخمسين عاما مميزا للغاية
- لا تزرع الأرض فيه ولا تحصد
- ينفخ اليهود فى الأبواق فى كل الأراضى المقدسة .
- تعد سنة عبادة وراحة وعتق العبيد .

عيد الأبواق :

يقع هذا العيد فى اليوم الأول من شهر أكتوبر .. ويستمر ثلاثة أيام ينفخ فيه اليهود فى الأبواق ويقومون بذبح القرابين للتكفير عن خطاياهم هذه الذبائح تكون عادة عجلا من البقر وكبشا وسبعة حملان وتيسا من الماعز .. كما تقدم الذبائح مع ظهور هلال هذا اليوم وعددها إحدى

عشر ذبيحة ويبدأ النفخ فى الأبواق منذ هذه اللحظة إلا إذا كـــان اليـــوم "يوم سبت " فلا ينفخ فى الأبواق إلا داخل الهيكل دون خارجه ويســـــمى هذا العيد – أيضا – عيد ميلاد العالم .

عيد الخيام : (المظال) :

تنتشر الخيام فى هذا اليوم الخامس عشر من أكتوبر فـــوق جبـــال القدس وأسطح المنازل وساحات المدينة وحول الهيكل المقـــدس ويعيـــش اليهود فى هذه الخيام خلال فترة العيد التى تستمر ثمانية أيام تقيم الأســـرة بأكملها داخل الخيمة ويرمز العيد إلى مناسبة خروج أجداد اليـــهود مـــن مصر مع سيدنا موسى عليه السلام حيث أقاموا داخل الخيام فى صحـــراء سيناء فالشريعة اليهودية تأمر الأحفاد أن يمروا بنفس تجربة الأجداد تقـــول التوراة عن هذا العيد الذى يسمى – أيضا – عيد " المظال"

وترجع قداسة هذا اليوم إلى أن يقع فى الشهر السابع من الســـــنة اليهودية ويصادف يوم حصاد الحبوب .

عيد الفصح : (الربيع) :

واحد من أهم وأكبر الأعياد اليهودية إن لم يكـــــن أهمـــها علـــى الاطلاق . . وكلمة " فصح " تكتب أيضا " فسح " والمقصود بها فى معـــنى هذا العيد " الفرج بعد ضيق " وإن كان معناها بالعبرية " الربيع " لأن هـــذا العيد يقع فى شهر "أفيف" وهو شهر الربيع ..

ويستمر هذا العيد سبعة أيام أما مناسبته فهو يوافق يـــوم خـــروج اليهود مع سيدنا موسى عليه السلام من مصـــر هـــاربين مـــن العبوديـــة

واستغلال فرعون لهم فى أحط وأحقر الأعمال وقتل الأطفـــال وهتـك أعراض نسائهم لهذا اعتبروا هذا اليوم يوم نجاتهم من العبودية إلى الحريـــة وهو أيضا يوم عبور من قسوة الشتاء إلى روعة الربيع أما طقوس هذا العيد فتبدأ مع اليوم الأول باعتباره كيوم السبت وتنطبق عليه كل قواعد وقيـود وطقوس السبت وكذلك يتعاملون مع اليوم السابع أى اليوم الأخير مـــن أيام هذا العيد ويذهب الرجال إلى المعبد ليقفوا أمام الله ويقدموا القرابـــين ويذبح اليهود فى هذا العيد خروفا أو جديا بين غروب الشـــمس وســواد الليل ثم يشوى هذا الخروف كاملا مع فطير وأعشاب لها طعم العلقم حيث يذكرهم هذا المرار بقسوة العبودية فى مصر ونجاة أجدادهم منـــها تقـول التوراة عن هذا العيد .. ".. فقال موسى للشعب اذكروا هـــذا اليـوم الذى خرجتم فيه من مصر من دار العبودية لأن الرب أخرجكم بيد قديـوة من هناك ولا يؤكل خمير اليوم أنتم خارجون فى شهر الإسبال سبعة أيـــام تأكل فطيرا وفى اليوم السابع عيد للرب فلا يرى لك خمير ولا شئ مختمـــر فى جميع تخمك .."

وكما يبدو من هذا النص فإن اليهود طوال هذا العيد محرم عليـهم أكل أى خبائز أو أطعمة دخلت فى تكوينها عملية التخمر .. وموعد هـــذا العيد هو الرابع عشر من شهر ابريل ..

يوم كيبور :

ويسمى أيضا بيوم الغفران أو التكفير وهو عيد من الأعياد الهامـــة والمقدسة فى إسرائيل ويبدأ مع غروب شمس التاسع من أكتوبر وحتى بعـــد

غروب الشمس فى العاشر من نفس الشهر ويعد يوما للعبادة والندم على الخطايا والتوبة ويصوم فيه اليهود كمظهر من مظاهر الطاعة للرب ويتعاملون مع هذا اليوم كأنه يوم سبت من حيث الطقوس والأوامر والنواهى الدينية تقول التوراة عن هذا اليوم .

" .. وفي هذا اليوم عينه لا تعملوا عملا لأنه يوم كفارة .. يكفر فيه عنكم بين يدى الرب إلهكم فكل إنسان لا يذلل نفسه فى هذا اليوم عينه يقطع من شعبه إنه سبت عطلة لكم فتذللون نفوسكم فى التاسع من الشهر من العشاء إلى العشاء تستبون سبتكم".

ولا تنته الأعياد اليهودية عند هذا الحد فهناك الاحتفال أيضا بأول الشهر القمرى فحينما يظهر هلال أول الشهر القمرى يتعامل اليهود مع هذا اليوم كأنه يوم سبت ويتم الاحتفال بهذا اليوم لمدة يوم واحد حيث تقدم القرابين للرب تكفيرا عن الخطايا ويقوم اليهود فى هذا اليوم بالنفخ فى الأبواق حيث تقول التوراه : ".. وانفخوا فى البوق عند رأس الشهر وفى أول البدر ليوم عيدنا .."

كما يحتفل اليهود بالسنة السابعة وهي السنة التى تأتى بعد كل ست سنوات من زراعة الأرض ففى هذا العام يجب أن يترك أصحاب الأرض أراضيهم للفقراء والمحتاجين لاستغلالها لمصلحتهم ويتم التعامل مع هذا العام السابع بتقاليد يوم السبت المقدس وتقول التوراة عن السنة السابعة .؟ " .. ست سنين تزرع أرضك وتجمع أكلها وفى السابعة إجمعها وتخل عنها فيأكل منها كل من مساكين شعبك وما فضل بعدهم يأكله

وحش الصحراء وكذلك تصنع بكرمك وزيتونك) أى أنه فى هذه السنة تترك الأرض للمساكين والحيوانات ويطلق على هذا السلوك " تسبيت الأرض " •• ومن الأعياد اليهودية الشهيرة كذلك عيد " الغوريم " وهو اليوم الذى نجا فيه اليهود من الملك الفارسي بفضل سيدهم الجميلة " أستير " التى خلصتهم من الموت والهلاك وكانت سببا فى عودهم إلى القدس من جديد وفى هذا العيد يتجمع اليهود فى الرابع عشر من مارس فى المعبد ويقومون بالصلاة الجماعية وقراءة " سفر إستير" ثم يقومون بالدعاء على " هامان " وزير المملكة الفارسية الذى دبر الخطط لإبادهم لولا أن تدخل اليهودى " مردخاى " بذكاء شديد وانتهز فرصة خلاف ملك الفرس " أرتحشوت " مع زوجته ودفع بأجمل نساء اليهود فى هذا الوقت السيدة أستير لتكون هدية اليهود للملك استطاعت هذه الحسناء التى لحس جمالها قائد الفرس أن تجعل من خطط الوزير هامان حبرا على ورق تمكنت من النفاذ إلى قلب الملك طبقا للخطة التى وضعها اليهودى " مردخاى " لها جعلت الملك ينسى بين أحضانها فى لحظات كل قرارات المملكة التى يفكر فيها عظماء أمته فى سنوات لحظة حب ساحقة بين أستير والملك جعلته ينسى هامان وشئون الحكم بل ويعفو عن اليهود ويسمح لهم بالعودة إلى أورشليم " القدس " وهكذا تؤكد الأيام أن ليالى سياسية سوداء صنعتها ليالى أخرى حمراء إلا أن ليالى أستير عادت على شعبها بالسعادة التاريخية فجعلوا لها عيدا يسمى أيضا بعيد " مردخاى " .

أما لماذا سمى العيد أساسا بعيد " غوريم " فيرجع ذلـــك إلى معـــنى كلمة " غوريم " فى العبرية وهو القرعة لأن الوزير الفارسى " هامان" ظـــل يجرى " قرعة " لإختيار يوم يتم فيه تدمير اليهود وإقامة المجازر لهـــم فيـــه وجاءت القرعة بهذا اليوم لكن استير استطاعت أن تصل إلى مخدع الملـــك قبل أن ينفذ خطة إبادتهم وهكذا نجا الشعب اليهودى .

ومازال اليهود يحتفلون بهذا العيد بشكل جعل العرب يسمونه عيد المسخرة لكثرة ما يتناول فيه اليهود من الخمور .

الكيبوتس . . والموشاف :[1]

فى إسرائيل نوعان من الحياة .. حياة المدن وحياة المستوطنات المدن تسكنها أغلبية الشعب الإسرائيلي بينما تعيش الأقلية فى المستوطنات .

والمستوطنات فى إسرائيل نوعان " الكيبوتس " و" الموشاف " كل نظام له قوانينه وعندما نرجع حوالى تسعين عاما إلى الوراء حيث كـــانت فلسطين عربية لا يسكنها غير العرب وأفراد قلائل من اليهود وكان اليهود بعد انهيار مملكتهم فى القدس وتدمير الهيكل المقدس قد تشردوا وتشـتتوا فى بلاد العالم حيث عاشوا فى هذه البلاد داخل مجتمعات مغلقـــة ليمارســوا طقوسهم الدينية بعيدا عن عيون غير اليهود وكـــان يطلـــق علـــى هـــذه التجمعات المغلقة اسم "الجيتو" أو حارات اليهود وبقيت فلسطين عربيـــة يسكنها العرب ويحكمها الفلسطينيون ومع بدايات القرن العشرين كـــانت عيونهم وقلوبهم تتطلع إلى مدينة القدس وحائط المبكى فـــاخترعوا نظـــام

---

[1] المرجع محمد رجب ، بنات إسرائيل ، ص ١٧٦ ، ص ١٨٠

المستوطنات التى هى فى حقيقتها "جيتو" كبير أو حارة من حارات اليــهود داخل فلسطين هذه المرة وبحجم كبير .

كانت البداية أوائل القرن العشــرين حينمــا روجــت الحركــة الصهيونية لفكرة إنشاء وطن قومي لليهود فى أى دولة من دول العالم وطن يجمع اليهود من حياة الشتات فى كل بقاع الدنيا ويكون نواة لتأسيس دولة إسرائيل وتحمس الصحفى النمساوى "هرتزل " لفكرة الوطــــن القومــى اليهودى ووهب عمره للدفاع عنها وساندته الصهيونية العالمية بقـــوة وتم ترشيح أكثر من وطن فى أكثر من دولة كأوغندا وقبرص .

وخلال هذه الفترة من بدايات القرن العشرين كانت العين - أيضا على فلسطين فيما لو أتيح الأمر لهم .. لهذا بدأت الحركة الصهيونيــــة فى تشجيع الهجرة إلى فلسطين وبدأ توافد اليهود مــــن أوروبــا الشــرقية فى موجات من الهجرة بعضها سرا وبعضها الآخر علانيـــة وفى عـــام ١٩٠٣ بدأت أول جماعة يهودية مهاجرة فى إنشاء مستوطنة " داجانيا " بالقرب من بحيرة طبرية وأطلقوا عليها اسم " الكيبوتس " وهى كلمة عبرية معناهــــا " الجماعة " ووضع أصحاب أول كيبوتس نظامه الأساسى وقانونه الأبدى .

الحياة فى الكيبوتس لا تعرف الملكية الخاصة لا أحد يمتلـــك شـــيئا لنفسه لا الرجال ولا النساء الانتماء لا يكون إلا للكيبوتس لا أنتماء للأباء ولا الأمهات الكل فى خدمة الكيبوتس .. والكيبوتس فى خدمة المجتمــع لا فرق بين كبير وصغير ولا بين رجل وامرأة وبين الآباء والأبناء الكيبوتـــس مقام على أرض شاسعة يدير أفراده أكثر من مشروع مزارع انتاج ألبـــان

وإنتاج بيض تربية طيور أو عجول زراعة فاكهة أو طماطم أو حبوب كـل هذه المشروعات قد تجتمع داخل كيبوتس واحد الكل يعمل هناك فريـق يتولى طهو الطعام وفريق يتولى النظافة وثالث مهمته الأعمـال الزراعيـة ورابع يتولى الأعمال الحرفية مجتمع يعتمد على الاكتفاء الذاتى المجتمع يأخذ من الكيبوتس بينما الكيبوتس لا يأخذ من المجتمع حصيلة إنتاج الكيبوتـس توزع على كل العاملين فيه بلا تفرقة الحاصل على الدكتوراه مثل الـذى لا يجيد القراءة لا أحد يتقاضى مقابل عمله بمفرده الدخل للجميع والعطـاء للكيبوتس لا يشترط الزواج فى العلاقات الثنائية بين الشباب والفتيـات والأطفال لا يرتبطون بأمهاتهم فالآباء يقيمون فى قاعات والأطفـال منـذ ولادتهم فى قاعات أخرى لا يجتمع شمل الأسرة إلا فى داخل قاعة الطعـام ولفترة محدودة الأطفال فى سن الرضاعة تشرف عليهم مربيـات وبعـد الفطام تغادرهم المربيات ليشرف الصغار بعضهم على بعض فأبناء إسرائيل يجب ألا تتحكم فيهم عواطفهم أو تضعفهم علاقاتهم بالأب والأم بالاعتماد عليهما فى كل شئ يكبر الأطفال فى قاعاتهم وتمضى الأيام بـالأب والأم فى قاعات أخرى ويدخل الأطفال المدارس داخل الكيبوتس ليتعلموا العبريـة واليهودية ومناهج العلوم ونظريات العلم ويتنزهون فى رياض الكيبوتـس ويقرأون الكتب فى مكتباته وحينما يصلون إلى سـن الشـباب والعمـل ينخرطون فى مجتمع الكيبوتس العملى حيث يعمل الجميع بلا أجر ثـابت ويعيش الجميع دون دفع نفقات الحياة فالمسكن والطعام والتعليـم متـاح للجميع حتى السيارات والدراجات والملابس تخضع للملكيـة العامـة ..

فالشخص لا يملك حتى ملابسه الداخلية . . مع الوقت تضـــاعف عــدد الكيبوتستات فى فلسطين .

لم يشعر العرب بالطابع السياسى للكيبوتس اعتبروه من قبيــــل " الجيتو " الذى يعشق اليهود الحياة داخله بعيدا عن الآخرين .. ومع الوقت انشق بعض سكان الكيبوتس عن الباقين تمردوا على قوانين الكيبوتســتات خاصة العلاقات الجنسية غير المشروعة التى تحرمها التوراه ويــأنف منـــها المتدينون . . فكروا فى نظام جديد يعتمد على الأسرة وينبذ الزنا يحـــترم الملكية الخاصة ويلفظ الملكية العامة مجتمع يتربى فيه الأولاد بين أحضـــــان أمهاتهم ومن هنا ظهر نظام " الموشاف " وهى كلمـــــة عبريـــة معناهـــا " المستوطنة " وبدأ بعض اليهود فى إنشاء " الموشاف " بالفعل وهو مجتمـــــع عائلى للغاية .. أهم ملامحه أن كل أسرة مستقلة عن الأخرى كل أسرة لهـا قطعة أرض صغيرة تمتلكها وكل أسرة تعيش فى منزل خاص بها لها ســيارتها وحياتها الخاصة كما ان الموشاف على عكس الكيبوتس يدير سكانه كلــهم مشروعا واحداً إنتاج فواكه أو مزارع دواجن أو مزارع حيوانات أو أنتاج ألبان مشروع مستقل يخضع لميزانية مستقلة بينما يكون بمقدور كل أســرة أن تعرض في أسواق المدن الانتاج الخاص بها . . ويصبح الثمن من حقــها وحدها ! . .

يبقي فارق أخر يتعلق بالأمن فالكيبوتس تحرسه الحكومة الاســرائيلية والموشاف تتولى حراسته قوة مشتركة من أعضاء الموشاف وجنود الجيـــش الإسرائيلي حتى غروب الشمس وفي الليل يتناوب السكان مـــن خـــلال

جدول خاص بأيام الأسبوع حراسة الموشاف! .. عموما مجتمع الكيبوتس أو الموشاف له جمعية عمومية ومجلس إدارة يتم اختيار أعضائه بالانتخاب !

فبعد أن تأسست دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ وبدأ تدفق موجات الهجرة بالآلاف من كل أنحاء العالم فإن للكيبوتس مهام محددة لعبت دورا بارزا يستقبل المهاجرين من بقاع العالم المختلفة وداخله يبدأ تشكيل الشخصية اليهودية للمهاجر يتعلم العبرية ويدرس التوراه والتلمود ويتدرب علي اشق المهام ثم يخرج إلي المجتمع الاسرائيلي كأنه يعيش فيه من مئات السنين والبطالة لن تصادف خريج الكيبوتس لقد تعلم مهنة جديدة في حياته بالكيبوتس التي تشبه حياة المعسكرات وبعد نكسة ١٩٦٧ زادت موجات الهجرة من كل أنحاء العالم .

وعرفت الكيبوتسات والموشاف زحاما لم تشهده من قبل من يهود أوروبا والاتحاد السوفيتي يهود الشرق الأوسط وأثيوبيا .. وتميزت ملامح المهاجرين اليهود في ثلاثة أشكال مازالت تعرفها إسرائيل حتى الان :

اليهود السفارديم .. هم أحفاد اليهود الذين طردوا من اسبانيا والبرتغال وسكنوا تركيا وبعض دول أوروبا مثل هولندا .. وايطاليا .. وبلغاريا .. واليونان هؤلاء هاجروا إلي إسرائيل في موجات متفرقة أحيانا كأفراد وأحيانا أخرى علي شكل جماعات ..

اليهود الأشكناز .. وهم يهود من أصل أوروبي .. وهاجروا إلي أمريكا واستراليا وجنوب أفريقيا .. ثم هاجروا إلي اسرائيل مع بدايات القرن العشرين وساهموا في الحركة الصهيونية وقامت دولة اسرائيل علي

أكتافهم واحتلوا المناصب القيادية في الجيش والحكومة ومن بينهم رابـــين وبيريز وديان وشامير وقد بدأوا حياقم في إسرائيل داخل الكيبوتسات .. واشتغلوا بالزراعة وحلب الأبقار!

يهود الشرق الأوسط .. وهم الذين هاجروا من الأقطار الاســـلامية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كالمغرب وتونس والجزائر .. ومنهم مـــن أتي من مصر والعراق واليمن .. وهؤلاء ســكنوا المســتوطنات داخــل إسرائيل قبل اندماجهم في المجتمع اليهودي الجديد.

الفلاشـــا .. هم اليهود المهاجرين من أثيوبيا وهناك اعتقاد أنهم مـــن نسل سيدنا سليمان عليه السلام بعد زواجه من الملكة بلقيس وهجرقمـــا إلي الحبشة! .. وتم نقلهم إلي اسرائيل في الثمانينيات بأكثر مـــن عمليـــة جوية إسرائيلية .. رغم هذا يشعر يهود الفلاشا بالظلم والتفرقة العنصرية داخل المجتمع الاسرائيلي ويعتقدون أن لون بشرقم الأسود هـــو ســـبب المصائب التي تصادفهم .. وأحيانا ما تقوم مظاهرات من يهود الفلاشـــا ضد الحكومة الاسرائيلية والسبب هو دم يهود الفلاش .. فقد ذهب عدد كبير منهم إلي بنوك الدم للتبرع بدمائهم لكن يهود الفلاشا اكتشـــفوا آن بنك الدم قام بالتخلص من دمائهم يإلقائه في الصرف الصحي في غفلة مـــن أبناء الفلاشا الذين ثاروا لكرامتهم وهاجموا مقـــر الحكومـــة في القـــدس يطالبون بالقصاص من وزير الصحة صاحب القرار الغريب .. قال وزيـــر الصحة " أن تحليل عينات الدم اثبت أن أكثر من ٦٠٪ من يهود الفلاشـا مصابون بفيروس الإيدز " لكن هذا المبرر لم يقنع أبناء الفلاشا .

ولابد أن نتذكر أن فكرة المستوطنات بدأت مـــن جانبه بتدعيـــم الاحتلال ونزع الهوية العربية من أرض فلسطين وفرض سياسة الأمر الواقع وهي الآن تسد الطريق أمام مفاوضات السلام لأن عـــــددا كبـــيرا مـــن المشاوف وعددا أخر من الكيبوتسات تقع داخل الأراضي العربية التي وقع قادة إسرائيل علي إعادها للسيادة العربية وبالتالي هاجم سكان المستوطنات حكام إسرائيل ونددوا بالسلام الذي يطردهم من الأراضي التي أصبحـــت من وجهة نظرهم ملكا خاصا لصالحهم .

يعتقد اليهود أن اللغة المقدسة في الدنيا .. هي اللغـــة العبريـــة !! السبب وراء هذا الاعتقاد اعتقاد آخر بأن آدم وحواء كانا يتكلمان اللغـــة العبرية .. وأن الله حينما كلم سيدنا موسي عليه السلام كلمـــه باللغـــة العبرية .. كما أن لغة التوراه والعهد القديم كانت – أيضا – العبرية .. الغريب أن اللغة العبرية تشبه مفرداها إلي حد كبير مفردات اللغة العربيـــة العديد من هذه المفردات يستخدمها الشعب اليهودي داخل اســـرائيل في حياته اليومية الآن بعد أن كانت لغة مهجورة من اليهود أنفسهم .. كما يجيدها عرب فلسطين .

لماذا سميت بالعبرية ؟! [1]

التاريخ يقول أن وصف " العبرية " أتى أصلا من وصف عـــابر .. أو عبراني .. وكان يطلق علي القوم الذين يتركون أوطاهم ويعبرون أراضـــي أخرى خلال ترحالهم حتى يسكنوا بلدا جديدا غير بلدهم الأصلـــي ..

---

[1] المرجع السابق ص ١٩٣

ويقول التاريخ أن هذا الوصف كان يطلق علي قبائل عديدة قبل ظهور الديانة اليهودية بمئات السنين .. لكن حاخامات اليهود حاولوا منذ زمن بعيد أن يربطوا بين كلمتي العبرية واليهودية وادعوا أن وصف "العبرانيون" قد أطلق علي اليهود الذين هاجروا من شبه الجزيرة العربية إلي فلسطين وعبروا البحر الميت وبسبب هذا العبور كان وصفهم بالعبرانيين !!

وتهدف هذه المحاولات اليهودية إلي زعم وجود حق مقدس في أرض الميعاد بفلسطين .. طالما أن اليهود " العبرانيين " وصلوا إليها منذ آلاف السنين ! .. وكيف أصبحت العبرية لغة التخاطب بين أبناء الشعب اليهودي ؟!

ظلت اللغة العبرية أكثر من ألف عام بعد نزول الديانة اليهودية لغة مهجورة لا تستخدم إلا في الطقوس الدينية والصلوات ودراسة التوراه والعهد القديم أي كان استخدامها لا يتجاوز استخدام ديني فحسب .. وإن كانت قد استخدمت أيضا في كتابة العبارات الحزينة فوق المقابر اليهودية حتى كان عام ١٨٥٨ بالتقويم الميلادي .. ظهر اليعزر بن يهودا ليحمل لواء إحياء اللغة العبرية ودفعها إلي أن تصبح لغة التداول والتخاطب بين اليهود داخل بيوتهم وخلال حياتهم اليومية بل انشأ من عنده كلمات ومفردات جديدة وأصدر مجلة خاصة باللغة العبرية في القدس عام ١٨٨٤ ثم أنشأ مجلس اللغة العبرية عام ١٨٩٠ .

وفي سنة ١٩١٠ ميلادية بدأ في تأليف أول قاموس شامل للغة العبرية يضم مفرداتها القديمة والحديثة معا .. وعندما توفي عام ١٩٢٢ لم

يكن قد انتهي من تأليف القاموس إلا أن آرملته وابنه الوحيد اصرا علـــى اتمام القاموس حتى تمكنا من إصداره عام ١٩٥٩ .

ولقد اعترفت الحكومة الاسرائيلية عقب قيام دولة اســـرائيل عـــام ١٩٤٨ باللغة العبرية لغة رسمية للبلاد إلي جانب اللغتين العربية والانجليزيـة وبعد أن كانت مفردات العبرية لا تزيد عـــن ٨ آلاف كلمـة في عـــهود التوراة أصبح عدد مفردات العبرية مائة وعشرين ألف كلمـــة وأضحـــي تدريسها إلزاميا لأطفال المدارس منذ نعومة أظافرهم بل وأنشئت معـــاهد لتعليم اللغة العبرية داخل اسرائيل في مدة لا تزيد عن خمسة أشهر !!

إلا أن معظم مفردات اللغة العبرية عبارة عن كلمات قديمة أطلقوها علي معني اجتماعي لا نظير له إلا في دولة اسرائيل .

أي أن كلمة أو كلمتين .. مجرد مصطلح .. يمكن أن يشرح معـني يحتاج إلي عدة سطور لبيان معناه .. من ذلك مثلا :

كلمة " كيبوتس " معناه في اللغة العبرية " الجماعة " بينما معناها الآن ينصرف إلي الحياة داخل المعسكرات التي لا تعترف بالملكية الفرديـــة .. ويعيش فيها الفرد يمنح جهده وعرقه لهذا المعسكر أو ذاك مقابل أن يوفر له المعسكر طعامه وملبسه والمأوى وكل ما يحتاج إليه من أعباء !

كلمة " السابرا " تعني في اللغة العبرية القديمة " التين الشـــوكي .. لكنهم يستخدمونها في اسرائيل الآن للتعبير عن جيل الشباب الذي ولـــد فوق أرض فلسطين وعاش فيها !.. لكن لماذا وصف " التين الشوكي " ؟

ترجع التسمية إلي حكاية كانت تحدث كثيرا أيام الانتداب البريطاني في العشرينيات وبدأت بالتحديد بين تلاميذ مدرسة " هرتزل " الثانوية بتل أبيب .. ففي هذا الوقت نشطت الهجرة اليهودية من أنحاء العالم إلي فلسطين .. وكان الأطفال القادمون مع عائلاتهم يلتحقون بالمدارس اليهودية في فلسطين .. لكن شتان الفارق بين الأطفال المولودين في فلسطين أصلا .. والأطفال القادمين إليها من أوروبا .. كان التلميذ اليهودي المولود في فلسطين يعاني ضيق ذات اليد .. كما أنه متخلف من الناحية الحضارية .. ومن الناحية الدراسية .. بينما التلميذ اليهودي المهاجر مع أسرته من أوروبا علي النقيض تماما فهو أحسن حالا من الناحية المادية وأكثر تفوقا من الناحية التعليمية .. ولهذا شعر شبان تلاميذ الثانوي المولودون في فلسطين بعقدة النقص أمام زملائهم الشبان اليهود الأوروبيين شعروا أمامهم بالدونية وبأن الآخرين أكثر تميزا منهم فراحوا يبحثون عن ميزة لهم في هذه المواجهة فاخترعوا مسابقة تقشير حبات التين الشوكي .. ونزع الأشواك بأيديهم من حول الثمرة ثم أكلها في النهاية وهنا عجز التلاميذ الوافدون من أوروبا عن تحقيق أي نجاح في هذه المسابقات لرهافة مشاعرهم وخوفهم من جرح أيديهم .. بينما حقق الشبان اليهود الذين ولدوا في فلسطين وعاشوا فيها نجاحا ميزهم عن الآخرين بقوة التحمل والمشقة .

ولما كان اليهود قد اتفقوا علي تسمية اليهود الذين جاهدوا من داخل فلسطين لقيام وطن قومي لليهود فيها بالأشكناز .. ومنحتهم

الحكومات المتعاقبة ميزات في تولي المناصب القيادية في الجيش والسياسة علي اعتبار أنهم أحق باسرائيل من غيرهم فقد أطلقوا أيضا علـي جيل الشباب المولود في فلسطين تسمية جيل " السابرا " أي الجيل الذي يتحمل المشاق مثلما كان يتحملها أبناء مدرسة هرتزل في مسابقات التين الشوكي! .. لكن هذه التسمية تثير جدلا كبيرا بين اليهود أنفسهم ؟!

السبب أن كلمة " السابرا " العبرية لا تصلح وصفا عاما للشباب الاسرائيلي كما اعتاد بعض الكتاب والمفكرين فهناك جيل ولد علـي أرض فلسطين وعمره الآن يقترب من الثمانين عاما .. وبالتالي لا يمكن اعتباره شبابا كما أن هناك علي أرض فلسطين شبان في العشرين من عمرهم لكنهم لم يولدوا في فلسطين وبالتالي لا يمكن اعتبارهم من جيل " السابرا " بل قد تأتي أسرة مهاجرة من أوروبا تتكون من اب وأم وطفل عمره عام وتكون الأم حاملا ويدخل الثلاثة اسرائيل حيث تلد الأم ابنها الثاني وبعد عشرين عاما يصبح الابن الأكبر عمره ٢١ سنة والأصغر ٢٠ عاما .. ورغم فارق العام الواحد بين الأخوين فإن الشقيق الأصغر وحده سوف يكون من جيل " السابرا " بينما يخرج الشقيق الأكبر عن هذا الوصف .. لأن الصغير ولدته أمه فوق أرض فلسطين بينما الأكبر ولدته في خارجها .

كلمة إسرائيل هي الأخرى تثير جدلا ؟!

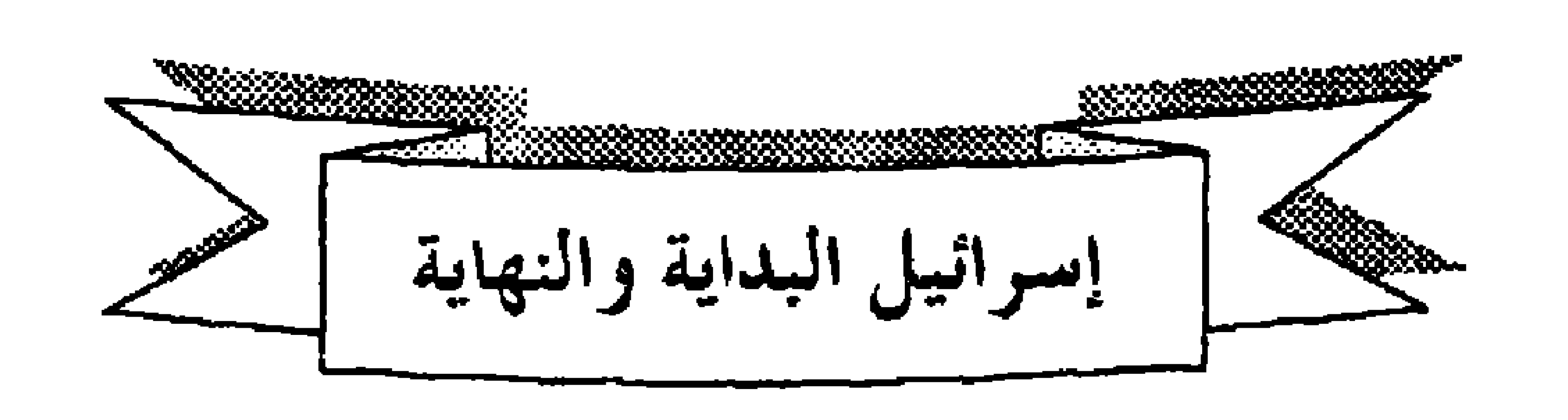
الكلمة كما يقول التاريخ هي الاسم الجديد الذي منح اليهود لسيدنا يعقوب عليه السلام .. وكانوا قد جعلوا اسم سيدنا إبراهيم عليه السلام من قبل " إبرام " !

إسرائيل كلمة تتكون من مقطعين .. وهي كلمة عبرية .. المقطع الأول هو " إسرا " والمقطع الثاني هو " إيل " .. و"إسرا" بالعبرية معناها " صارع " .. و"إيل " بالعبرية معناها " الرب " فاليهود لديهم نص في العهد القديم يحكي أن الرب نزل ليصارع سيدنا يعقوب وقد جاهد يعقوب في هذه المصارعة مجاهدة كبيرة .. فطلب منه الرب أن يكون اسمه إسرائيل .. أي الرجل الذي صارع الرب !

لكن هناك تفسيرا آخر في القرطبي لابن عباس رضي الله عنه يقول أن معني " إسرا " بالعبرية هو " عبد " .. ومعني " إيل " هو " الإله " .. أي أن تسمية سيدنا يعقوب بإسرائيل تعني عبد الإله .. والمعروف أن القرآن الكريم استخدم وصف بني إسرائيل في أكثر من موضع والتفسير الثاني هو الذي يطمئن إليه المسلمون أكثر من تفسيرات اليهود الغريبة .. والتي جعلت الرب يتجسد في شكل رجل ثم يقوم بمصارعة يعقوب !

أمثلة لبعض المفردات العبرية التي تشبه إلي حد ما المفردات العربية!!

الكلمة العربية	نفس الكلمة بالعبرية
آدم	آدام
آمين	آمين
أب	آب
ابن	بين
أبوة	أبهوت



ذكر الله في كتابه العزيز أنه اختار اليهود وفضلهم وخصهم بالكثير من النعم والخيرات وأرسل إليهم أكبر عدد من أنبيائه وعلي رأسهم موسي الكليم صاحب العزم الشديد وكان يجب أن يطيبوا نفسا بهذه الخصوصية ويسعدوا بهذا التكريم ولكن ما حدث كان العكس فقد ازدادوا بهذه الخصوصية كبرا وتعاليا وبعد أن شق الله لهم البحر وأغرق لهم فرعون وجنوده وخلصهم من أعدائهم وفتح لهم الباب للهجرة إلي أرض السمن والعسل ما لبثوا أن شقوا عصا الطاعة علي نبيهم وعبدوا العجل وعصوا ربهم ونقضوا العهد الذي عاهدهم عليه وكلما عاهدوا ربهم علي شئ نقضوه وفسقوا وعصوا وازدادوا كبرا وأضلهم الله في التيه أربعين سنة ولعنهم وكتب عليهم الذلة والمسكنة وشتتهم وقطعهم في الأرض أمما وذكر في القرآن أنه يجمعهم في آخر الزمان [1] .

﴿ فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾ أي اشتاتا من جميع أقطار الأرض " ١٠٤ – الإسراء " .. ولكنه يجمعهم لعقاب وليس لحفاوة ..

يقول في نفس السورة الآية ٧: ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا – أي يدمروا – ما علوا تتبيرا﴾ .

---

[1] مصطفي محمود ، إسرائيل البداية والنهاية ، إصدارات أخبار اليوم ، ١٩٩٧ ص ٢٧

الغرور والتعالي من صفات بني اسرائيل مـــن قـــديم وفي التـــوراه المتداولة يدخل يعقوب النبي (واسمه الأصلي اسرائيل) يدخل في مصارعـة حرة مع الله في رؤيا منامية ويغلبه والأحبار الذين كتبوا هـــذا الكـــلام في توراهم لا شك قد بلغ بهم الغرور والكبر غايته فتصوروا نبيهم قادرا علـــي كل شئ فتحدوا بقدرته قدرة الله ذاته تعالى ربنا عن هذا العبـــث علـــوا كبيرا[1] ·· والتوراة تلعنهم وتصفهم بالكبر والعناد ونبيهم موسي يلعنـــهم لوثنيتهم وكفرهم وعبادهم للعجل ·· لكن اليهود فيهم الرواد والنوابـــغ في كل فروع العلم والمعرفة والفنون وفيهم الأنبياء العظام من أولي العـــزم ونيوتن وأينشتين أمثلة قريبة من عصرنا ويقول الله في قرآنه عنهم:

﴿ ولقد اخترناهم علي علم علي العالمين ﴾ " ٣٢ – الدخان "

ولم يكن ذلك العلم إلا فضلا إلهيا ·· فماذا فعل بهـــم علمـــهم! زادهم كبرا ولجاجة فلما قال لهم نبيهم موسي ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحـوا بقرة ﴾ كان المفروض أن يصدعوا بالأمر بلا مناقشة لأن صاحب الأمـــر هو الله ولكنهم دخلوا في جدل ولجاجة·

قالوا : ﴿ أتتخذنا هزوا﴾ ·· " أتهزأ بنا يا موسي ·· وما حكاية هـــذه البقرة ·· وأي نوع من البقر هي أهي فارض أم بكر ·· وما لونهـــا إن البقر تشابه علينا ·· فماذا تكون بين أشكال البقر " شددوا علي أنفســهم فشدد الله عليهم ورغم الآيات والكرامات والمعجزات التي خصهم بها ربهم

---

[1] المرجع السابق ص ٩٧

وشاهدوها بأعينهم فإنهم لجوا في عنادهم فقد أحيا لهم موسي القتيل بعد موته بأن ضربه أحدهم ببعض من لحم البقرة المذبوحة فقام وأخبر عن قاتله كما شق لهم موسى البحر وأغرق فرعون وجيشه أمام أعينهم ونجاهم من القهر وعبر بهم إلي سيناء سالمين فما لبثوا أن عادوا إلي وثنيتهم وطالبوا نبيهم موسى بأن يجعل لهم وثنا ثم عبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري وظلل عليهم ربهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى ونتأ عليهم الجبل كأنه ظله وأخرج لهم من الصخر اثنتا عشرة عينا من الماء بعدد أسباطهم وبعد موت موسي وهارون جاء لهم ربهم بالتابوت تحمله الملائكة وفيه بقية مما ترك نبيهم العصا وألواح العهد ثم جاء سليمان فسخر له الله الريح والجن وعلمه لغة الطير .. وقال داود : ﴿ عُلمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ﴾ فما زادهم هذا الاكرام إلا علوا واستكبارا وتمردا وقال قارون مزهوا بماله وثرائه : ﴿ إنما أوتيته علي علم عندي﴾

فتصور أن كنوزه جاءته بعلمه وذكائه فخسف الله به وبداره الأرض ولازمهم ذلك الإحساس بالخصوصية والتميز والعلو والعنصرية فاستبدوا وظلموا ونقضوا العهود وخانوا المواثيق واعتبروا خيانة عهودهم مع الآخرين حقا لهم فهم الأعلي وباقي البشر " جوييم " أدنى من الحيوان يقول ربنا : ﴿ فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية﴾

" ١٣ - المائدة "

﴿ وقال اليهود يد الله مغلولة غُلت أيديهم ولُعنوا بما قالوا﴾

"٦٤ - المائدة "

﴿ وضُربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كــانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بمــا عصــوا وكــانوا يعتدون ﴾ " ٦١ – البقرة "

وكتب عليهم ربهم الشتات وقطعهم في الأرض أمما ذلــك تــاريخ مقروء ومشهود.واليوم تأتي اسرائيل في تجمعها الختامي مؤيـــدة بأمريكــا والغرب ومسلحة بالقنابل وبالصواريخ حاملات الرؤوس النووية لتعــزف لحن الختام في سيمفونية العلو والاستكبار علي مشهد من الملأ العالمي وعلي مسرح بعرض التاريخ [1] .

ويقول ربنا عن هذا الحدث : ﴿ وقضينا إلي بــني اســرائيل في الكتــاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنــا عليكم عبادا لنا أولي باس شديد فجاسوا خلال الديــار وكــان وعــدا مفعولا ﴾ " ٥ – الاسراء "

وليس هؤلاء العباد بختنصر ولا تيتوس كما زعم بعض المفســرين فهؤلاء كانوا جبابرة ولم يكونوا عبادا وهم لم يجوسوا خلال الديــار بــل سحقوا الديار ومحقوها ودمروها وذلك في زمان السبي البابلي وإنما تتحدث الآية عما فعل عباد الله المسلمون في غزوهم لخيبر فهؤلاء هم الذين جاسـوا خلال الديار ديار خيبر وبني النضير وقينقاع .. الخ [2]وكان انتصــارا ولم

---

[1] المرجع السابق ، ص ٩٩

[2] المرجع السابق ، ص ١٠٠

يكن دمارا وكان ذلك بعد معركة الخندق وما حدث فيها من تأليب اليهود لقبائل الجزيرة وجمعهم لكل العرب في جيش واحد للقضاء علي محمد عليه الصلاة والسلام ودعوته بضربة واحدة .. وما حدث من خيانة اليهود لعهد الأمان الذي قطعوه مع الرسول وانضمامهم لصف أعدائه حينما التحم الجيشان [1] . ﴿ وكان وعدا مفعولا ﴾ .

ثم يقول ربنا : ﴿ ثم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين ﴾

ومعني ذلك أنه قد مرت حقبة طويلة من الزمن ليحدث هذا التكاثر ﴿ وجعلناكم أكثر نفيراً ﴾

وليس النفير هنا من " النفر " وإنما من الصوت المدوي الذي يستنفر الناس وهو النفيرَ الإعلامي ووسائل الاعلام المتعددة من كتب ونشرات وصحف وإذاعة وتليفزيون ومحطات فضائية وقد أعطي الله اليهود بسخاء كل هذه الوسائل وأعطاهم القدرة علي النفاذ إلي اصحاب القرار في كل دولة والوصول إلي منابر الغرب وإثارتها [2] .. وما فعلوه في جولتهم الافسادية الثانية هو عين ما فعلوه في الافسادة الأولي .. تشويه الاسلام ووصمه بالإرهاب والدموية وتأليب الدول الغربية وأمريكا وحشدها ضد الاسلام كما فعلوا بقبائل الجزيرة قبيل غزوة الخندق وهذه المرة أثاروها فتنة شعواء في كل دولة وفي كل بؤرة مشتعلة من لبنان إلي

---

[1] نفسه ، ص ١٠٠

[2] المرجع السابق ، ص ١٠٠

أفغانستان إلي الصومال إلي البوسنة إلي كشمير إلي الجزائر إلي وسط أفريقيا ومنطقة البحيرات وأعالي النيل سعيا بالفتن وإشعال الحروب في كل مكـــان علي اتساع القارات تمهيدا لمعركة فاصلة ومواجهة تقـــوم بهـــا اســـرائيل لإخضاع المنطقة العربية وإقتلاع الاسلام من جذوره والآيات تتحدث عـــن ايامنا وما يجري فيها الآن حولنا وبين ظهرانينا [1] .

ويقولْ ربنا لليهود في تحذير : ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أســـأتم فلها ﴾ .. وهو يعلم أنهم لن يحسنوا فقد أضمروا الشر وخططوا له مـــن البداية فيقول عن تلك النهاية : ﴿ فإذا جاء وعد الآخـــرة أ أي ميقـــات الإفسادة الثانية ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ " ٧- الاسراء "

بما معناه أن المواجهة ستتم وسوف يسترد المسلمون بيت المقـــدس ويدمروا كل ما بنت إسرائيل وكل ما عمرت ويختصر القرآن ما ســـوف يحدث في غموض شديد مؤداه أنه ستكون هناك هزيمة لاسرائيل وســـوف يدخل المسلمون القدس كما دخلوها أول مرة .. وسوف يدمرون كل ما انشأت اسرائيل وما عمرت .. هل ستبني الهيكل ويهدمه المســـلمون ؟!!

لا نعلم [2] ولا يقول القرآن متى .. ولا كيف .. ولا ماذا ســـيدمر ممـــا

---

[1] المرجع نفسه ، ص ١٠١

[2] إسرائيل البداية والنهاية ، ص ١٠١

بنت إسرائيل وأنشأت ولا بأي سلاح سوف نغلبها . . ثم يـــأتي مســـك الختام .

﴿ عسي ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنــا وجعلنــا جــهنم للكــافرين حصيرا ﴾ " ٨ – الاسراء "

أي لا سبيل أمامكم ونحن لكم بالمرصاد إن عدتم إلي التآمر والعدوان عدنـا إلي هزيمتكم [1] . ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾

آي أن الكافرين محصورون في جهنم ولا سبيل أمامــــهم ليبلغــوا مرادهم هذا قدرهم وفي آية أخرى يقول سبحانه عن اليهود :

﴿ إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه ﴾ " ٥٦ – غافر "

أي أنهم لن يبلغوا ابدا ولن يحققوا ذلك العلو والكبر الذي يحيك في صدورهم والنبرة القاطعة في الآيات تقطع أي أمل في أن إسرائيل ســـوف تحقق ما تحلم به في يوم من الأيام .

أما السبب في هذه القطعية والحسم فهو أن القضية هـــذه المـــرة ليست مجرد الإفساد في الأرض " فالإفساد في الأرض حــــادث متصـــل ومستمر منذ بدء الخليقة " إنما لأن الإفساد هذه المرة هو إفساد الإســـلام ذاته دين الله القويم وتشويهه كما حاولوا في المرة الأولي في غزوة الخنـــدق حينما جمعوا القبائل كلها في أرض المعركة للقضاء علي الإســـلام بضربـــة واحدة .

---

[1] إسرائيل البداية والنهاية ، مرجع سابق ص ١٠١

وهو أمر لم يسمح به الله في الأولي ولن يسمح بحدوثه في الثانيـــة لأنه دينه وكلمته وإرادته وما يريده الله لا يقوى مخلوق علي هدمه .

وما حدث في الأولي في غزوة الخندق أن الله أرسل أضعف جنـــده ريحا عاصفة اقتلعت خيام الكفار وبددت شملهم وكفأت قدورهم وأطلقتهم مذعورين يهرولون في الصحراء . . وهذه المرة الآيات تختصر ما ســـوف يحدث من هزيمة منكرة وتدمير لكل ما بنت إسرائيل وأنشـــأت ودخـــول المسلمين منتصرين القدس . . والكيفية عند الله في غيبه ولكن خلاصـــة البيان الإلهي أن السلام ليس مراد إسرائيل بالمرة ولم يكن مراد إســـرائيل في يوم من الأيام [1] .

﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ﴾ "٦٤ – المائدة "

هذا دأبهم بطول التاريخ وهذا خلقهم .

متى تحدث تلك المعركة الكبرى ؟؟!! لابد أن تحدث في السنوات القليلـــة القادمة في أوج الانحياز الأمريكي وفي زخم الاحتشاد الصهيوني.

ولابد للقوى الصهيونية أن تقتنص هذه الفرصـــة لهـــذا المنـــاخ السياسي النادر الذي لن يتكرر في زمن سريع التحولات عنيف التقلبـــات إن إيقاع الأحداث التاريخية يتسارع والإمبراطورية الرومانية التي عمـــرت أكثر من ألف عام تهاوت ثم رأينا بعدها الإمبراطورية البريطانية تنتـــهي في

---

[1] المرجع السابق ص ١٠٣

أقل من ذلك بكثير ثم إمبراطورية نابليون في عمر أقـــل ثم الامبراطوريـــة الروسية في سبعين عاما فقط إن التاريخ اصبح يهرول ولن تبقـــي أمريكـــا علي القمة طويلا ولابد للقوى الصهيوينة أن تقتنـــص الفرصـــة قبـــل أن تفوهّا[1] .

لقد دخلت إسرائيل في العلو الذي ذكره القرآن والعلو الصغـــير صائر إلي العلو الكبير .

والمعركة الكبرى علي الأبواب .. وفي التوراه وفي الأنجيـــل وفي رؤي القديسين إشارات إلي هذه المعركة الهائلة الـــتي يســـموها معركـــة هرمجدون تجرى علي أرض فلسطين وأطرافها المسلمون والنصاري واليـهود ويتصور كل فريق أن المعركة سوف تنتهي لصالحه [2] .

وتظل هرمجدون أسطورة .. والله وحده يعلم كيف تنتهي الأحداث ومـتى وأين ولحساب من ؟ .

---

[1] المرجع السابق ، ص ١٠٣

[2] نفسه ، ص ١٠٤

المراجــــع

(١) **عارف باشا العارف** ، تــاريخ القــدس ، دار المعــارف ، القاهرة ، ١٩٥١ م

(٢) **د. فاروق محمد عز الدين** ، القدس تاريخيا وجغرافيــا ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨١ .

(٣) **محمد أحمد عبد المطلب** ، واقدساه ، مكتبة الشعب بالفجالة ، القاهرة ، ١٩٩١

(٤) **د. مصطفي محمود** ، إسرائيل البداية والنهاية ، أخبار اليوم ، القاهرة ، ١٩٩٧

(٥) **محمد رجب** ، بنات إسرائيل ، مكتبة مدبولـــي الصغـير ، القاهرة ، ١٩٩٨

(٦) **د. سيد فرج راشد** ، القدس عربية إسلامية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٠

(٧) **سامي محمد عبد الحميـــد** ، مكتبــة الآداب ، القــاهرة ، ٢٠٠١

(٨) **د. عادل حسن غنيم** ، حائط البراق أم حائط المبكي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠١

<u>المراجع الأجنبية</u>

1. **A.T.Olmstead** :History of Palestine and Syria, 1923
2. **G.R.Driver** : Hebrew Language Ency Britannica 1961
3. **F.Edward** : The Biblical Archaeologist Reader, Vol. II, 1964
4. **G.A.Smith** : Historical Geography of Holy Land,1966
5. **B.Porten** : Archives From Elephantine, 1968
6. **M.L.Margolis**: A History of the Jewish People 1969
7. **E.Heaton** : The Philistines And Old Testament,1971
8. **A Sachar** : History of the Jews, 1973



إبراهيم عناني يتسلم هدية رمزية من الأستاذ الدكتور محمد الفيومي
عميد كلية التجارة جامعة الإسكندرية عقب إلقائه محاضرة عن [القدس]

صدر للمؤلف :

- إحدي عشر مؤلفا في التاريخ بالإضافة إلي الأبحاث وما تم نشره بمجلة المؤرخ العربي وبعض الصحف ، والأحاديث التليفزيونية والإذ...
- تلقي المؤلف دعوات لإلقاء محاضرات عن القدس في أكثر س... بينها ندوتين نظمتهما جامعة الإسكندرية عن القدس خلال شهر... وأغسطس عام ٢٠٠١ بالإضافة إلي حديث عن القدس في برنامج... الخير يامصر" وبالقنوات التليفزيونية الأخري وأحاديث إذا...

